



حضارة العرب قبل الإسلام

علي عفيفي علي غازي

حضارة العرب قبل الإسلام

المؤلف
علي عفيفي علي غازي

كتاب
المجلة
العربية

المجلة العربية

رئيس التحرير
محمد بن عبدالله السيف

الرياض. طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين). شارع المنفلوطي
هاتف: 4767345.4777943 فاكس: 4766464
ص.ب 5973 الرياض 11432 | المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com
info@arabicmagazine.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ح

المجلة العربية، 1444هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

غازي، علي عفيضي علي

حضارة العرب قبل الإسلام. / علي عفيضي علي غازي. - الرياض، 1444هـ

128ص؛ 14×21 سم. - (كتاب المجلة العربية ؛ 552)

ردمك: 0-31-8320-603-978

1 - الحضارة العربية 2 - العرب قبل الإسلام أ.العنوان ب.السلسلة

1444 / 736

ديوي 953,01

رقم الإيداع: 1444 / 736

ردمك: 0-31-8320-603-978

المحتويات

7	المقدمة
		الفصل الأول
9	مصادر التاريخ لحضارة العرب قبل الإسلام
		الفصل الثاني
41	طبقات العرب قبل الإسلام
		الفصل الثالث
55	الحياة السياسية للعرب قبل الإسلام
		الفصل الرابع
87	الحياة الدينية للعرب قبل الإسلام
111	المصادر والمراجع

المقدمة

يحاول هذا الكتاب الرد على المشككين في دور العرب الحضاري قبل الإسلام، ويؤكد على أن العرب كانوا أهل طور حضاري، في مسيرة الحضارة البشرية، وكانت لهم حياتهم الدينية ومعبوداتهم الخاصة، وكذلك عرفوا الديانات السماوية، كما قامت فيهم ممالك، وتوسعت تجارتهم، وقامت في جانب منها على تجارة الترانزيت، وازدهرت في سواحل شبه الجزيرة العربية موانئ، قام نشاطها الاقتصادي في الأساس الأول على التجارة، وغيرها من المهن والحرف المعاونة، بالإضافة لازدهار الزراعة في كثير من مناطق جزيرة العرب، وقيام مراكز استيطانية حضارية، حول مصادر المياه، ومن ثم قيام زراعة مستقرة.

إنني أتمنى ومن خلال ما خططته في هذه الأوراق، أن تعيشوا معي لتتعرف على جوانب مهمة من حياة العرب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية قبل الإسلام، راجياً من الله أن تكون الرحلة ممتعة وأن يكون هذا الكتاب إضافة جديدة للمكتبة العربية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. علي عفيفي علي غازي

7 أكتوبر 2021

الفصل الأول
مصادر التاريخ لحضارة العرب
قبل الإسلام

تمثل دراسة حضارة وتاريخ تطور المجتمع العربي قبل الإسلام ضرورة مهمة لفهم تطوره في ظل الإسلام، إذ كيف لنا أن نُقدِّر عظمة الإسلام ودولته وإنجازاتها من دون الرجوع لفهم الطبيعة البشرية والحضارية التي ولد فيها، ونقلها نقلته الثورية في المجالات كافة، الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية والحضارية، فإذا ما نظرنا إلى تاريخ العرب قبل الإسلام على أنه تاريخ جهل وتخلف واقتتال وبدعوة، أي تاريخ بعيد عن الحضارة بمقاييسها المعاصرة، فإن ذلك سيجعلنا نُجانب الصواب، إذ إن أي أمة تمثل طوراً حضارياً في الحضارة الإنسانية، وفق ظروفها البيئية، ووفق مراحلها التاريخية.

فقد عرف العرب قبل الإسلام الكثير من القيم والأعراف والمعارف الإيجابية، كما عرفت شبه الجزيرة العربية مجتمعات مستقرة، تبنت نظماً سياسية واقتصادية، تكاد تُضاهي ما عُرف عند بعض الأمم والأقوام الأخرى في نفس السياق التاريخي زماناً، وذلك على الرغم من الاختلافات بين البيئات الطبيعية، فقد عرف المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية عبقرية لغوية، من خلال اللغة والشعر، فقد كان العرب بارعين في اللغة العربية، يحفظون المعلقة التي تضم المئات من أبيات الشعر الفصيح، ووجدت في بيئتهم أسواق خاصة بالشعر كانت بمثابة محج لكل الشعراء، وذلك على الرغم من عدم معرفتهم التدوين، ولهذا كانت معجزة القرآن الكريم لغوية، فقد كان إعجاز القرآن وقت نزوله تحدياً للعرب في اللغة.

لقد كان القرآن الكريم من جنس ما نبغ فيه العرب، فلقد عُرف العرب بالبلاغة والفصاحة وحسن الأداء، وجمال النطق، وسلاسة التعبير، فجاء القرآن الكريم ليتحداهم أن يأتوا بمثله في قوله تعالى: (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين) (القصص: آية 49).

لكن الجواب جاء من الله سبحانه تعالى حتى قبل أن يُخبرهم، وذلك أنهم لن يستطيعوا، وجاء الرد في الآية التالية مباشرة، قال تعالى: (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) (القصص: آية 50). ثم انتقل التحدي بعد ذلك إلى عشر سور فقط، وذلك عندما قالوا إنه افتري هذا القرآن من عنده، فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مفتريات، هم ومن استطاعوا أن يدعوا من دون الله، ولكن هيهات (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) (هود: آية 13). وكان الجواب مثلما كان في المرة الأولى (فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون) (هود: آية 14).

ولكنهم مع ذلك يستمرون في الإنكار، ويقولون إن محمداً افتري هذا القرآن، فينزل التحدي رغم عجزهم إلى سورة واحدة مفتراة كما يزعمون، ولكن كيف، وقد نزل القرآن الكريم من اللوح المحفوظ على قلب سيد المرسلين، معجزة ومنهجاً، وتحدياً للعرب وغير العرب (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) (يونس: آية 38). ولكن كيف، فالكلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وهو القرآن الكريم لم يكن أحد ليستطيع أن يأتي بمثله من فطاحل علماء البلاغة العرب، والعلم الذي نزل به القرآن الكريم لم يكن يعرفه بشر في ذلك الوقت، فكيف جاء النبي الأُمي بهذا الكلام المعجزة، وبهذا العلم الذي لا يعلمه بشر، ومع ذلك استمر التحدي على أن يأتوا ولو بسورة واحدة في قوله تعالى: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) (البقرة: آية 23). ولا يزال هذا التحدي قائماً، ولا يزال عجز البشر مستمراً، وأبلغ دليل على ذلك

ما أحدثته جائحة كورونا في البشرية كلها، وهي الناتجة عن فيروس كوفيد 19، لا يُرى بالعين المجردة.

تتعدد المصادر التي يُمكن الاعتماد عليها عند كتابة تاريخ وحضارة العرب قبل الإسلام، فمصادر تاريخ شبه الجزيرة العربية متعددة متباينة متنامية، فالدارس لتاريخ المنطقة يجب عليه أن يعتمد على حزمة من المصادر المتنوعة، ويُمكن أن نشير لبعضها في إيجاز.

أولاً: القرآن الكريم

على الرغم من أن القرآن الكريم ليس كتاباً تاريخياً بالمعنى المفهوم لكتب التاريخ، إلا أن ما ورد فيه من أمثلة ذكرت في جوانب منها للعبارة والعبارة، قد أعطت نماذج من حياة العرب وغيرهم من الشعوب قبل الإسلام، ورغم محدودية الأخبار والقصص التاريخي في القرآن الكريم، إلا أنها تمتاز بأنها معلومات قطعية لا يرقى إليها الشك؛ بل إن الكثير مما ذكر في القرآن الكريم قد أيدته الاكتشافات الحديثة، ففيه إشارات للعرب البائدة كأقوام عاد وثمود، وفيه إشارات لأحداث تاريخية ذات صبغة عسكرية، كالحديث عن غزو الأحباش للحجاز، فيما عُرف بعام الفيل، وفيه إشارات اقتصادية كالحديث عن التجارة بين الجزيرة العربية ومحيطها، كما ترد فيه إشارات عن العلاقات بين أتباع الديانات المختلفة، وحالات الاضطهاد كأصحاب الأعداء، كما ترد إشارات ذات أهمية في دراسة طبيعة المجتمع العربي قبل الإسلام، كعادة وأد البنات، وتعدد الزوجات، والثأر والعصية القبلية، كما يتضمن جوانب عن العبادات قبل الإسلام، وإشارات للديانات المجوسية واليهودية والنصرانية والصابئة، وغير ذلك من الظواهر والمعتقدات. ومن ثم فإن الدارس لحضارة وتاريخ العرب قبل الإسلام لا يُمكن أن يستغني

عن القرآن الكريم كمصدر تاريخي، وذلك على الرغم من أنه كتاب مقدس لم يُنزله الحق سبحانه وتعالى من اللوح المحفوظ على قلب سيد المرسلين، محمد صلى الله عليه وسلم، بهدف أن يكون كتاباً للتأريخ.

ثانياً: الحديث النبوي الشريف

تتضمن الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة الكثير من التفاسير لما كان قائماً عند العرب قبل الإسلام، من نظم اقتصادية، ورؤى دينية، وأنماط تفكير سياسي، وبعض مظاهر الحياة الاجتماعية، ونظراً لأنه تم تدوين الأحاديث في حوالي القرن الثاني الهجري، فإن ذلك يجعلها في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم في مصادر التأريخ للحضارة العربية قبل الإسلام، إلا أن اعتماد رواة الأحاديث على منهج الجرح والتعديل، وتبنتهم من دقة الرواية وأمانة الراوي، ووضعهم مقاييس ومعايير لذلك، يعطي الاطمئنان لكتب الأحاديث المعتمدة، كصحيح البخاري (ت. 275 هـ / 888 م)، وصحيح مسلم (ت. 262 هـ / 875 م)، وسنن أبي داود (ت. 275 هـ / 888 م)، وسنن الترمذي (ت. 279 هـ / 892 م).⁽¹⁾

(1) عبد القادر بن محمد جلال الدين: إعلاء البخاري تثبت مكانة الإمام البخاري وصحيحه من خلال رد الشبهات حولهما، علي بن محمد العمران (تقديم)، (الرياض: دار سلف للنشر والتوزيع، 2018)؛ صالح محمد زكي اللهيبي: التراتيب النبوية دراسة تاريخية في ضوء صحيح البخاري، (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، 2007)؛ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، (دمشق وبيروت: دار ابن كثير، 2002)؛ الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 13 ج، (بيروت: دار المعرفة، 1379)؛ الحافظ أبو الحسين مسلم الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1426)؛ الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، محمد عبد العزيز الخالدي (تحقيق)، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1996)؛ الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي: الجامع الكبير، 6 ج، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996)؛ الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني: سنن أبي داود، 7 ج، شعيب الأرنؤوط وآخر (تحقيق)، (دمشق: دار الرسالة العالمية، 2009).

ثالثاً: كتب التفاسير

يأتي ترتيب كتب التفاسير كمصدر تاريخي لحضارة وتاريخ العرب قبل الإسلام بعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وعلم التفسير علم قديم النشأة، حيث تعود بداياته إلى أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ونظراً لأن كتب التفاسير تشرح ما ورد في القرآن الكريم وما أشكل فهمه، وتتناول أسباب النزول، فإنها بذلك تقدم وصفاً لحياة العرب قبل الإسلام، ولعل أشهرها: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (ت. 310 هـ / 922 م)، تفسير القرآن الكريم لابن كثير الدمشقي (ت. 774 هـ / 1372 م)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت. 685 هـ / 1286 م)، مفاتيح الغيب للرازي (ت. 606 هـ / 1209 م)، أسباب النزول للنيسابوري (321 هـ / 933 م - 405 هـ / 1014 م).⁽¹⁾

رابعاً: كتب السيرة والمغازي

أدى الاهتمام بالأحاديث النبوية الشريفة إلى ظهور نمط من أنماط الكتابة التاريخية هو (السيرة والمغازي)، التي جاءت استجابة لحاجة ثقافية، تهدف إلى الوقوف على تفاصيل حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأفعاله

(1) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج7، بشار عواد معروف وآخر (تحقيق)، (بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، 1994)؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2000)؛ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري: أسباب النزول، عصام بن عبد المحسن الحميدان (تحقيق)، (الدمام: دار الإصلاح، 1992)؛ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، كمال بسيوني زغلول (تحقيق)، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1991)؛ محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1981)، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، محمد عبد الرحمن المرعشلي (تحقيق)، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1998).

التاريخية.⁽¹⁾ وتنقل المغازي الوعي التاريخي عند العرب للمرة الأولى للكتابة التاريخية بالمفهوم الحديث، لأنها كانت تبحث في غزوات وسرايا الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وتجمع في الوقت نفسه الأحداث، التي واكبت قيام الأمة الإسلامية، وكلها أخبار تاريخية اتخذت هذا النمط استجابة لحاجة المسلمين إلى معرفة أخبار الفترة التاريخية، التي وضعت فيها اللبنة الأولى لحضارتهم.

ورغم أن عناوين كتب السيرة والمغازي قد توجي بأنها مخصصة لسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومغازيه، إلا أن اهتمامات كتابها شملت جوانب من حضارة وحياة العرب قبل الإسلام، مهد بعضهم بها للدخول في السيرة أو المغازي. ومن بين أشهر كتب السيرة، كتاب محمد بن إسحاق (ت. 151 هـ / 768 م)، والذي يُعتبر من أهم المؤلفات في هذا الصدد، لأنه جاء ثمرة مفهوم واسع عن سيرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، إذ لم يُقدم السيرة فقط، وإنما قدم تاريخ الرسالة، ومن ثم فإنه يقسم إلى ثلاثة أجزاء: الأول وهو المبتدأ، ويبحث فيه تاريخ العرب قبل الإسلام منذ بدء الخليقة وحتى البعثة النبوية، أما القسم الثاني، وهو المبعث، فيتناول فيه حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، أما القسم الثالث، وهو المغازي، فيبحث في تاريخ النبي (صلى الله عليه وسلم)، والدعوة الإسلامية، وغزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وحروبه مع المشركين حتى وفاته (صلى الله عليه وسلم)، وتضمن هذا الكتاب الكثير من الأشعار، والروايات نقلاً عن التوراة، وأيام العرب، ومن ثم فإنه يُعتبر من المصادر

(1) نبيه القاسم: موقف السيرة النبوية من التوراة واليهود، (عكا: مؤسسة الأسوار، 2003)، ص 14 - 18؛
سالة محمود محمد عبدالقادر: منهجية ابن خلدون في تدوين السيرة النبوية وتفسيرها، (بيروت: دار
الكتب العلمية، 2010)، ص 32 - 34، 51 - 54.

الرئيسة لحضارة وتاريخ العرب قبل الإسلام، بالإضافة لكتاب سيرة ابن هشام (ت. 218 هـ / 833 م)، الذي نقح كتاب ابن إسحاق، وخلصه من الأشعار المنحولة، والأخبار الضعيفة، وفي كتاب ابن هشام إشارات لعبادات العرب قبل الإسلام. وأخيراً نُشير إلى كتاب (المغازي) لمحمد بن عمر الواقدي (ت. 207 هـ / 822 م)، والذي يبحث في غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) وسراياه، مراعيًا التسلسل الزمني، وهو دقيق في استعمال الإسناد، وفي تحقيق تواريخ الحوادث، وتغلب على كتاباته الدقة، والبعد عن العصبية.⁽¹⁾

خامساً: كتب التاريخ والجغرافيا

بدأ تدوين التراث التاريخي العربي في العصر الأموي، والذي قاد للاهتمام بالكتابة عن تاريخ العرب قبل الإسلام لتبيان الصلات العربية، ولكن هذه النوعية من الكتابات يؤخذ عليها احتواؤها على الكثير من القصص والأساطير التاريخية، إضافة إلى انطباعها بالأيديولوجيا الإسلامية ضد كل ما قبل الإسلام.

والتراث التاريخي العربي قبل الإسلام كان رافداً من روافد الفكر التاريخي العربي بعد الإسلام. وتُشكّل الأسطورة عند العرب قبل الإسلام الشكل الجيني للمعرفة التاريخية في فترة لاحقة من تاريخهم. والأسطورة هي

(1) وجدان جميل علي جابر: الردة: دراسة تاريخية في مرويات محمد بن إسحاق وسيف بن عمر ومحمد بن عمر الواقدي، رسالة ماجستير غير منشورة. (نابلس: كلية الدراسات العليا بجامعة النجاح الوطنية، 2013)؛ محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني: السيرة النبوية، أحمد فريد المزيدي (تحقيق)، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2004)؛ ابن هشام: السيرة النبوية، عمر عبد السلام تدمري (تحقيق)، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1990)؛ ابن هشام: السيرة النبوية، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2009)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي: كتاب المغازي، (كلكتا: مطبع بيتست مشن، 1855)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي: كتاب المغازي، مارسدن جونس (تحقيق)، (بيروت: عالم الكتب للنشر والتوزيع، 1984).

صورة من صور الفكر البدائي حيثما كانت مسطورة أو مطبوعة في ألواح الأذهان.⁽¹⁾ وتختلط في الكتابة التاريخية لدى العرب الحقيقية التاريخية بالخرافة والأسطورة على نحو مُربك ومُحير، إذ يفترق التراث التاريخي العربي إلى الوعي المزدوج بالزمن والحقيقة، فلم يكن التاريخ عند العرب قبل الإسلام بحثاً عن الحقيقة، كما أنهم لم يروا في العملية التاريخية نتاجاً لتفاعل الإنسان مع بيئته في إطار زمني محدد.⁽²⁾

وبعد ظهور الإسلام حدثت تغيرات جوهرية في حياة العرب، انعكست على شتى نواحي الحياة، وخضعت فكرة التاريخ لهذه التطورات، وأدى ذلك إلى نقلة نوعية في مناهج الدراسات التاريخية، وبنية علم التاريخ. ويُمكن رصد المعطيات، التي أثرت على الفكر التاريخي، ومناهج البحث في موضوعاته من خلال مستوى فكري متصل بالعقيدة، ومستوى واقعي تتمثل في الظروف الجديدة، التي فرضت نفسها في ظل تطور الحضارة العربية الإسلامية.

وفكرة التاريخ في القرآن الكريم ليست إلا تجسيدا للتصور الإسلامي للإنسان في الحياة، فهو خليفة الله في الأرض، ولكي يقوم بدوره ينبغي عليه أن يتعرف على ذاته حتى ينجح في أداء رسالته. وينظر القرآن الكريم للتاريخ على أنه فعل إنساني، نتج عن تفاعله مع بيئته في إطار الزمان، وهو أيضاً خير وسيلة لكشف ماهية الإنسان. وقد أدت فكرة التاريخ في الإسلام

(1) فاروق خورشيد: أديب الأسطورة عند العرب، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2002)، ص 19 - 23؛ نوفل محمد نوري: (الأسطورة والحكاية الشعبية وأثرها في ثقافة الرحالة المسلمين)، مجلة التربية والعلم، المجلد 15، العدد 4، (2008)، ص 93 - 110؛ عمرو عبدالعزيز منير: مصر في الأساطير العربية، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2016)، ص 65 - 90؛ حسين الحاج حسن: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1998).

(2) على أدهم: (الشخصية الإنسانية لها التأثير الأول في الحركة التاريخية)، مجلة العربي، العدد 130، (سبتمبر 1969)، ص 58 - 62.

إلى تطور مهم في مناهج البحث التاريخي، إذ نزل التاريخ إلى عالم الواقع، واهتم بالأحداث التاريخية التي صنعها البشر في بيئتهم، وداخل إطار زمانهم. وبدأ البحث التاريخي ينشد الحقيقة التاريخية باعتبار أن التاريخ أحداث وضعية من صنع البشر، وهم مسؤولون عنها. ويستعير علم التاريخ مناهج علم الحديث باعتبارها وسيلة لضبط الرواية التاريخية وفق مقياس (الجرح والتعديل)؛ بهدف البحث عن الحقيقة، وتطور منهج البحث التاريخي ليأخذ شكله العلمي، الذي بلوره ابن خلدون في مقدمته الشهيرة، ومن ثم عدَّ أول كاتب يُعالج التاريخ بصفته الموضوع الحقيقي لعلم خاص.⁽¹⁾

وتأثر المؤرخون المسلمون بالرؤية القرآنية لدور التاريخ في خدمة الجانب الأخلاقي التعليمي في المجتمع المسلم؛ بل إن منهم من قسّم فوائد التاريخ إلى قسم دنيوي وقسم أخروي. وكانت النتيجة الطبيعية أن التزمت الرواية التاريخية بإطار الزمان وحدود المكان، كما بحث المؤرخون عن الحقيقة التاريخية، وفاضلوا بين رواية وأخرى. وتأثر المؤرخون المسلمون بمناهج علم الحديث في إسناد الرواية التاريخية، ثم نقدها على أساس التاريخ الشخصي للراوي، ثم تطور ليجمع بين الاعتماد على الجدارة الأخلاقية للرواة، ونقد نص الحديث. وكانت مناهج (الجرح والتعديل) من أهم روافد البحث التاريخي عند المسلمين، إذ كانت تستهدف الحقيقة من خلال ضوابط نقدية صارمة.

(1) شكيب أرسلان: تاريخ ابن خلدون، (القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، 2012)؛ زينب الخضيرى: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1989)، ص 89 - 137؛ محمد علي حشيشو (ترجمة): (ابن خلدون)، مجلة فكر وفن، العدد 15، (1970)، ص 9 - 23؛ أحمد الحذيري: (من مصادر ابن خلدون ومظاهر فرادته)، مجلة الجسرة الثقافية، العدد 35، (خريف 2014)، ص 144 - 151؛ ميغيل كروز هيرنانديس: (الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية)، في كتاب سلمى الخضراء الجيوسي (تحرير): الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج 2، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999)، ص 118 - 121.

ولقد أثرت التطورات التي شهدتها الفترة المبكرة من تاريخ المسلمين: سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، إذ إن حركة الفتوح الإسلامية، أدت إلى نشوء الحاجة إلى أنماط جديدة للكتابة التاريخية، وبالتالي تطور مناهج البحث وفق الأنماط الجديدة، التي أفرزها علم التاريخ في الثقافة العربية الإسلامية. وأوجدت حركة الفتوح الإسلامية نمطاً جديداً من الكتابة التاريخية يهتم بفتوح البلدان؛ بقصد التعرّف على ظروف فتح كل بلد. إلا أنها جمعت كل الروايات دون تحقيق. وأدى دخول الشعوب ذات الحضارات القديمة في الدين الإسلامي إلى تطور علم التاريخ ومناهج البحث فيه، إذ أوجدت نمطاً جديداً مهد لظهور التواريخ المحلية. وممن تخصصوا في هذه الأخبار التاريخية محمد بن السائب الكلبي (60 هـ / 679 م - 147 هـ / 764 م)، عوانة بن الحكم (ت. 147 هـ / 764 م)، أبو مخنف الأزدي (ت 157 هـ / 774 م)، سيف بن عمر التميمي (ت 200 هـ / 815 م)، ابن عبد الحكم (187-257 هـ / 800-871 م)، أبو زكريا يزيد بن محمد الأزدي (ت 334 هـ / 946 م)، محمد بن عمر الواقدي (130 هـ / 747 م - 207 هـ / 823 م)، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت 279 هـ / 892 م).⁽¹⁾

يشهد القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي مولد كثير من الحوليات والمؤلفات التاريخية، ولمعت أسماء عدد من أعلام التدوين التاريخي، منهم:

(1) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، (بيروت: دار العلم للملايين، 1983)، ج1، ص 128؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، علي محمد عمر (تحقيق)، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2004)؛ أبو زكريا يزيد بن محمد الأزدي: تاريخ الموصلي، علي حبيبة (تحقيق)، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1967)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي: فتوح الشام، (بيروت: منشورات الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، د. ت.)؛ أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان، عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع (تحقيق)، (بيروت: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1987)، ص 659، 660.

أبو قتيبة الدينوري (213هـ/ 828 م - 276هـ/ 889 م)⁽¹⁾، ابن جرير الطبري (224هـ/ 839 م - 310هـ/ 923 م)، مؤلف كتاب (تاريخ الرسل والملوك)، الذي يتناول التاريخ العام منذ الخليقة وحتى نهاية سنة 302هـ/ 914م. ويُعدُّ الطبري بداية مرحلة جديدة في تاريخ التدوين التاريخي في التراث العربي الإسلامي، إذ جمع مؤلفه بين الأنماط السابقة في مجال التدوين العربي، ثم النمط الحولي، واعتمد على الإسناد، والوثائق، وبهذا أرسى قواعد منهج جديد في البحث والدراسة التاريخية؛ مثل نقلة نوعية في تاريخ كتابة التاريخ العربية. واتبع الطبري طريقة الحوليات، وقسّم حوادث كتابه وفق تسلسل زمني يبدأ من سنة الهجرة، ويروي حوادث كل سنة على حدة متبعاً منهج الإسناد والعنعنة. ولم يعد معيار صحة الخبر التاريخي عند الطبري هو المعيار الأخلاقي، الذي استخدمه منهج (الجرح والتعديل)، وإنما أصبح يعتمد على توفر الشواهد المادية، التي تؤكد صحة الخبر، وبرزت أهمية الوثائق والسجلات الحكومية باعتبارها دليلاً يدعم القصة التاريخية. ويُجسد كتاب الطبري استجابة إلى قراءة جديد لتاريخ الأمة الإسلامية كلها باعتبارها أمة واحدة، تجاوزت النزعة القبلية والمحلية، التي ميزت القراءات السابقة لتواريخ الشعوب، التي اعتنقت الإسلام.⁽²⁾

يشهد القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي كذلك بروز مراكز ثقافية عديدة متنافسة على امتداد العالم الإسلامي، وكان علم التاريخ واحداً من ميادين المنافسة، وتمثلت النتيجة النهائية في ظهور التواريخ المحلية،

(1) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: الأنواء في مواسم العرب، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1988)، ص 4.

(2) أبو جعفر بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 10 ج، محمد أبو الفضل إبراهيم (تحقيق)، (القاهرة: دار المعارف، 1969)، ج 1، ص 3 - 9؛ عباس توفيق: محمد بن جرير الطبري ومنهجه في تفسير القرآن الكريم وكتابة التاريخ، (دار ناشري للنشر الإلكتروني، 2013)، ص 72 - 90؛ أحمد العناني: (ما بين الطبري وابن خلدون)، مجلة الدوحة، العدد 109، (يناير 1985)، ص 74، 75.

التي تتحدث عن تواريخ البلدان، ثم تواريخ المدن، كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (392-463 هـ / 1002-1071 م) ⁽¹⁾ وتاريخ دمشق لابن عساكر (499-571 هـ / 1105-1176 م) ⁽²⁾ وتواريخ الفسطاط والقاهرة لابن عبد الحكم (187-257 هـ / 802-871 م).

تطورت أنماط الكتابة التاريخية عند المسلمين بعد ذلك، فظهرت كتب الخطط، التي تجمع بين التاريخ والطبوغرافيا والسكان والجغرافيا، ووصل هذا النمط تطوره على يد المؤرخ تقي الدين المقريزي (764-845 هـ / 1364-1442 م) ⁽³⁾ وبلور عبد الرحمن بن خلدون (ت 808 هـ / 1406 م) اتجاهاً جديداً في منهج البحث التاريخي يرفض الحكم على صحة الخبر بمعيار أخلاقي يعتمد على عدالة رواة الخبر، وإنما يجعل وقائع التاريخ واتساقها منطقياً، ومطابقتها لقواعد الاستقراء والاستنباط معياراً على صحة الخبر التاريخي. ويمكن أن نضع ابن خلدون (القرن الرابع عشر الميلادي) على رأس مدرسة توالد التاريخ، إذ أوجز تاريخ العالم في قانونه المشهور عن (دورة العمران) ⁽⁴⁾.

- (1) الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام، 17 ج، بشار عواد معروف (تحقيق)، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2001)، ج 1، ص 17 وما بعدها.
- (2) عدال إبراهيم حسين: بعض سفارات العلماء في عصر الحروب الصليبية من خلال كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر للفترة 490 - 571 هـ / 1096 - 1175 م، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 19، العدد 10، (تشرين الأول 2012)، ص 359 - 378.
- (3) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والأثار، 7 ج، أيمن فؤاد سيد (تحقيق)، (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1995)، ج 1، ص 6 - 64، وما بعدها؛ محمد كمال الدين عز الدين: المقريزي مؤرخاً، (بيروت: عالم الكتب، 1990)؛ تقي الدين المقريزي: رسائل المقريزي، رمضان البدري وآخر (تحقيق)، (القاهرة: دار الحديث، 1998)، ص 3 - 6.
- (4) فتحي أبو العينين: (التمايز الاجتماعي في العمران البشري.. قراءة سوسولوجية في مقدمة ابن خلدون)، مجلة مركز دراسات الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر، العدد الثاني، (1990)، ص 299 - 326؛ نجاح حسين حمد الهبارنة: (ملامح العمران البشري عند ابن خلدون)، حولية كلية الآداب جامعة عين شمس، المجلد 45، (أبريل - يونيو 2017)، ص 261 - 281؛ سالم حميش: الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، (بيروت: دار الطليعة، 1998)؛ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي:

واتخذت الكتابة التاريخية عند المسلمين صوراً عدة، تُعبر في مجملها عن عناية المسلمين بعلم التاريخ، ويُمكن اعتبار كل لون من هذه الألوان الكتابية مدرسة تاريخية متميزة. وأقدم مدرسة عرفها المسلمون في الكتابة التاريخية هي المدرسة الإخبارية، التي جمعت قصص العرب وأخبار مغازي الرسول (صلى الله عليه وسلم) والفتوحات الإسلامية، ثم خضعت الكتابة التاريخية لنسق حولي، يورد الأخبار والوقائع التاريخية المتعلقة بكل سنة، ثم يختتم بترجمات لوفيات السنة، ككتابات الطبري (224 هـ/ 839 م-310 هـ/ 923 م)، وابن الجوزي (510 هـ/ 1116 م-597 هـ/ 1200 م)، وابن الأثير (555 هـ/ 1160 م-639 هـ/ 1232 م)، والذهبي (ت 748 هـ/ 1349 م)، إلا أنه على أيدي مجموعة أخرى من المؤرخين المسلمين تطورت الكتابة التاريخية لتُغطي تاريخ الوجود البشري، وتشمل تاريخ الأمم القديمة، وذلك على أيدي المسعودي (ت 346 هـ/ 958 م)، والمقدسي (ت حوالي 390 هـ/ 1000 م)، واليعقوبي (ت 284 هـ/ 897 م)، ثم برز تيار يؤرخ لتاريخ الأمم، إلا أنه اقتصر على تدوين التاريخ السياسي، للكيانات التي ظهرت على مسرح التاريخ، كابن حيان (101 هـ/ 721 م-199 هـ/ 815 م)، وابن حماد (548 هـ/ 1153 م-628 هـ/ 1231 م)، والسيوطي (849-911 هـ/ 1445-1505 م).

المقدمة، (القاهرة: دار الشعب، د.ت.)، شكيب أرسلان: تاريخ ابن خلدون، (القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، 2012): زينب الخضير: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1989)، ص 89 - 137: محمد علي حشيشو (ترجمة): (ابن خلدون)، مجلة فكر وفن، العدد 15، (1970)، ص 9 - 23: أحمد الحذيري: (من مصادر ابن خلدون ومظاهر فرادته)، مجلة الجسرة الثقافية، العدد 35، (خريف 2014)، ص 144 - 151: ميغيل كروز هيرنانديس: (الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية)، في كتاب سلمى الخضراء الجيوسي (تحرير): الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999)، ص 118 - 121: سلامة محمود محمد عبد القادر: منهجية ابن خلدون في تدوين السيرة النبوية وتفسيرها، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2010)، ص 32 - 34، 51 - 54: أحمد العناني: (ما بين الطبري وابن خلدون)، مجلة الدوحة، العدد 109، (يناير 1985)، ص 74، 75.

وعرفت الكتابة التاريخية عند المسلمين كذلك التأريخ وفق تاريخ البلدان، ويمثل هذه المدرسة ابن تغري بردي (813 هـ / 1410 م - 874 هـ / 1470 م) في (النجوم الزاهرة)، والسيوطي في (حسن المحاضرة)، والهمداني (ت 334 هـ / 945 م) في (الإكليل)، والسهمي (302 هـ / 951 م - 427 هـ / 1036 م) في (تاريخ جرجان)، وابن عذاري (ت. 695 هـ / 1295 م) في (البيان المغرب)، وغيرهم. وكذلك التأريخ وفق تاريخ المدن، ويمثل هذه المدرسة الخطيب البغدادي (392-463 هـ / 1002-1071 م) في (تاريخ بغداد)، والأزدي (ت 334 هـ / 946 م) في (تاريخ الموصل)، وابن عساكر (499-571 هـ / 1105-1176 م) في (تاريخ دمشق)، وابن العديم (588 هـ / 1192 م - 660 هـ / 1262 م) في (بُغية الطلب)، وغيرهم. كما ظهرت مدرسة تبحث في فضائل بلاد الإسلام، ويمثلها الواقدي (130-207 هـ / 747-823 م) في (فضائل الشام)، المقدسي في (فضائل بيت المقدس)، ابن تيمية (661 هـ / 1263 م - 728 هـ / 1328 م) في (مناقب الشام وأهله)، السيوطي (849-911 هـ / 1445-1505 م) في (إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى)، وغيرهم.

بالإضافة لذلك ظهرت مدرسة المذكرات، التي تسجل أبرز الأحداث الجارية، في شكل مذكرات يومية انطباعية، وتمثل هذه المدرسة مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين (469 هـ / 1077 م - 483 هـ / 1090 م)، والنكت العصرية لعمارة اليميني (515 هـ / 1121 م - 569 هـ / 1174 م)، والاعتبار لأسامة بن منقذ (488-584 هـ / 1095-1188 م)، والبرق الشامي للعماد الأصفهاني (519 هـ / 1125 م - 597 هـ / 1201 م)، وغيرهم. وتمثل مدرسة الرحلات، كما سبق الذكر، شكلاً من الكتابة التاريخية الجغرافية، وقوامها وصف المسالك والدروب، والممالك والعادات والتقاليد

والشعوب، وهي تسجيل لملاحظات شخصية وانطباعات ذاتية. وأخيراً عرف العرب والمسلمون لوناً من الأدب التاريخي يعرف بحياة الأشخاص، يمثل مدرسة التراجم والسير، ويمثل هذه المدرسة سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لابن إسحاق (85 هـ / 703 م - 151 هـ / 768 م)، وما كتبه ابن خلدون (732 هـ / 1332 م - 808 هـ / 1406 م) بعنوان (التعريف بابن خلدون)، والسيوطي في (التحدث بنعمة الله). ويمكن تصنيف التراجم عند المسلمين إلى تراجم عامة على اختلاف الأصول والصناعات، وتراجم على البلدان، تعرف بأعلام كل بلد على حدة، وتراجم لعلماء كل قرن، وتراجم على الطبقات يرتب فيها الرجال حسب العلم الذي تخصصوا فيه، ويمثلها طبقات القراء لابن الجوزي، وطبقات المفسرين للسيوطي، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ت. 771 هـ / 1370 م)، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (451 هـ / 1059 م - 526 هـ / 1131 م)، وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار (359 هـ / 969 م - 415 هـ / 1025 م)، والطبقات الكبرى للشعراني (898 هـ / 1493 م - 973 هـ / 1566 م)، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (138 هـ - 756 م / 232 هـ - 845 م).

وفيما يلي نُشير إلى بعض الأوائل ممن كتبوا في التاريخ العربي:

عبيد بن شرية الجرهمي (ت. 70 هـ): ويعتبر من حكماء العرب ما قبل الإسلام، وهو من أصول يمنية، وفد إلى دمشق بناء على طلب من الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (41-60 هـ / 632-661 م)، حيث قام بتأليف كتاب (الملوك وأخبار الماضين)، وهو كتاب يتضمن الكثير من القصص وأخبار العرب القديمة، ومن ثم فهو ليس كتاباً تاريخياً بالمعنى الدقيق.⁽¹⁾

(1) زريف مرزوق المعاينة: (منهج عبيد بن شرية الجرهمي في كتابه الملوك وأخبار الماضين)، مجلة شؤون اجتماعية، المجلد 18، العدد 71، (خريف 2001)، ص 39 - 59؛ عبيد بن شرية الجرهمي: الملوك وأخبار

وهب بن منبه (ت. 34-110 هـ / 655-728 م): يمني من أصول فارسية، كان يهودياً ثم أسلم، ركزت معظم كتاباته على اليمن، ونقل كل المرويات والقصاص بما تتضمنه من المبالغة والأسطورة، كما تأثر في رواياته كثيراً بالتوراة وبالمأثورات الفارسية، ومن مؤلفاته كتاب المبتدأ في التاريخ القديم، ويعود فيه لبدء الخليقة، وكتاب التيجان في ملوك حمير.⁽¹⁾

محمد بن السائب الكلبى (ت. 146 هـ / 763 م): من علماء الأنساب، حيث جمع أنساب القبائل العربية، وله في كتب الأنساب: النسب الكبير، وجمهرة النسب، جمع فيه أنساب فحول الخيل في الجاهلية والإسلام، وكتاب (الأصنام)، ويعتبر الأخير مصدراً مهماً لمن يتصدى للكتابة عن ديانات العرب قبل الإسلام.⁽²⁾

يعقوب بن الحسن الهمداني (280-338 هـ): يلقب بـ(لسان العرب)، ولد في صنعاء باليمن، ركز في كتاباته على تاريخ اليمن، إلا أن مؤلفاته تشير إلى سعة اطلاعه وتنوع اهتماماته، ولأنه كان على معرفة بخط المسند القديم، فقد قدم معلومات عن تاريخ اليمن القديم لا نجدها عند غيره، وجاءت سابقة للمكتشفات الأثرية والرحلات الأوروبية في العصر الحديث.⁽³⁾

الماضين، (حيدر آباد: مطبعة حيدر آباد الدكن، 1347).

(1) وهب بن منبه: كتاب التيجان في ملوك حمير، عبدالعزيز المقالح (تقديم)، (صنعاء: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، 1979).

(2) أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبى: جمهرة النسب، ناجي حسن (تقديم)، (بيروت: مكتبة النهضة العربية، 1986)؛ أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى: كتاب الأصنام، أحمد زكي باشا (تحقيق)، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1995).

(3) نقولاً زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1987)، ص 152، 153؛ نقولاً زيادة: الرحالون المسلمون والأوروبيون إلى الشرق العربي في العصور الوسطى، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2010)، ص 32، 33.

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت. 310 هـ / 923 م): بدأ كتاباته بالتفسير، إذ ألف كتاب (جامع البيان في تفسير القرآن)، ثم كتابه التاريخي (تاريخ الرسل والملوك)، وكتاباته التاريخية تتميز بالنضج والتدقيق والتعميق والفلسفة، إذ عاش في بيت علم، كما ارتحل في طلبه، ومن ثم فإن كتابه يضعه في قائمة المؤرخين العالميين، ويبدأ كتابه منذ آدم والرسل والأنبياء حسب ترتيبهم في التوراة، ثم ملوك فارس والأمم الأخرى، حتى شروق شمس الإسلام، وقد جمع في كتاباته بين منهج الكتابة الأفقية الموضوعية، ومنهج الكتابة الحولية العمودية، وبخاصة في القسم الثاني الخاص بتاريخ الإسلام، حيث يبدأ من السنة الأولى للهجرة، وحتى سنة 302 هـ / 914 م، والكتاب مليء بالأخبار السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية للعرب قبل الإسلام.⁽¹⁾

أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت. 345 هـ / 954 م): ترك عدداً من المؤلفات في التاريخ، والتي تجعله يمثل النظرة العالمية في التاريخ من حيث ترابط الأفكار والأديان، وقد ألف عدداً من المؤلفات: أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الداخرة، مروج الذهب ومعادن الجوهر، التنبيه والإشراف. وتضمنت كتبه قسماً يتناول فيه تاريخ العرب قبل الإسلام، يبدأ فيه الحديث منذ بدء الخليقة، ثم قصص الأنبياء، واتب أسلوب عرض الخبر والواقعة بإيجاز وبساطة بعد تحري الأخبار الموثوقة، ومن ثم تتضمن مؤلفاته الكثير من المعلومات الجغرافية، وتاريخ الأمم القديمة، والقبائل والعادات والأديان، واعتمد في

(1) أبو جعفر بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 10 ج، محمد أبو الفضل إبراهيم (تحقيق)، (القاهرة: دار المعارف، 1969)، ج 1، ص 3 - 9؛ عباس توفيق: محمد بن جرير الطبري ومنهجه في تفسير القرآن الكريم وكتابة التاريخ، (دار ناشري للنشر الإلكتروني، 2013)، ص 72 - 90؛ أحمد العناني: (ما بين الطبري وابن خلدون)، مجلة الدوحة، العدد 109، (يناير 1985)، ص 74، 75.

مصادره على الرحلات والاتصال المباشر بالعلماء، وبالمصادر المكتوبة الخاصة بالديانات والشعوب المختلفة.⁽¹⁾

سادساً: كتب الأنساب

كان الفكر التاريخي العربي قبل الإسلام يسير في مسارين: الأنساب، وأيام العرب، فضلاً عن القصص التاريخي أو شبه التاريخي الذي تناقله عرب الجنوب، ومن ثم يعرف العرب قبل الإسلام الأنساب باعتبارها نمطاً من المعرفة التاريخية تُناسب ظروف التنظيم القبلي؛ وكي تكون وسيلة لتفاخر القبيلة وتناصرها على أعدائها، ولا تخلو عادة من الإشارة إلى الأحداث التاريخية. وكان لكل قبيلة نسابتها المشهورون، الذين حفظوا مشجرات النسب عن ظهر قلب؛ نظراً لأهمية النسب في حياة القبيلة. وأبرز المجتمع القبلي التقسيم على أساس النسب على مستوى التنظيم الاجتماعي.⁽²⁾

لم يؤد اعتناق العرب للإسلام إلى جعلهم يتخلون عن تراثهم في مجال المعرفة التاريخية قبل الإسلام، إذ احتفظوا بالأنساب، وقصص عرب الجنوب، وطوعوها لخدمة الأغراض الثقافية، التي وجدت بعد الإسلام. وقد ازداد نشاط علماء الأنساب في عهد دولة بني أمية (41-132 هـ/ 662-750 م)؛ بسبب إنشاء الدواوين، ومصالح العصبية من العرب المتنافسين.⁽³⁾

- (1) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: أخبار الزمان، (النجف: المكتبة الحيدرية، 1966)؛ أبو الحسن المسعودي: أخبار الزمان وعجائب البلدان، خالد علي نيهان (تحقيق)، (القاهرة: مكتبة الناظفة، 2013)؛ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، 4ج، كمال حسن مرعي (تحقيق)، (بيروت: المكتبة العصرية، 2005)؛ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: التنبيه والإشراف، عبد الله إسماعيل الصاوي (تحقيق)، (بغداد: مطبعة المثني، 1938).
- (2) أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري: الأنساب، محمد إحسان النص (تحقيق)، (مسقط: وزارة التراث والثقافة، 2006)، ج1، ص 3 - 6.
- (3) محمد بن صامل العلياني السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري،

تخدم كتب الأنساب جوانب مختلفة من تاريخ العرب قبل الإسلام، فدراسة كتب الأنساب مثل جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي (384 هـ/ 994 م-456 هـ/ 1065 م)، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب لأبي العباس القلقشندي (756 هـ/ 1355 م-821 هـ/ 1418 م)، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي (ت. 1246 هـ/ 1830 م)، وغيرها من كتب الأنساب تقدم فائدة لا غنى عنها لمن يتصدى لدراسة حضارة وتاريخ العرب قبل الإسلام.⁽¹⁾

سابعاً: الشعر

يُعتبر الشعر العربي من المصادر التي لا غنى عنها لمعرفة الكثير من جوانب حياة العرب قبل الإسلام، إذ يمكن استخلاص إضاءات لجوانب الحياة المختلفة للعرب في تلك العصور، فهو ديوانهم، يخلدون فيه مآثرهم، ويسجلون فيه أخبارهم، إلا أن هناك شكاً في نسبة كثير من الأشعار للعرب في العصور القديمة، وبخاصة تلك التي تُنسب إلى زمن عاد وثمود وطسم وجديس وغيرهم. كما أنه يتعرض للنقد من زاوية الانتحال والكذب، إذ ينسب الشاعر لنفسه قصائد، وهي ليست له، بالإضافة لما يعتريه من المبالغة، ورغم ذلك يبقى مصدراً لا غنى عنه، يُمكننا أن نستخلص منه معلومات عن الجوانب المختلفة لحياة العرب قبل الإسلام، عن التركيبة القبلية، وعلاقات القبائل بعضها البعض، ويُمكن كذلك أن نستخلص منه

رسالة ماجستير غير منشورة، (مكة المكرمة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، 1984)، ص 290 - 294.

(1) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، عبد السلام محمد هارون (تحقيق)، (القااهرة: دار المعارف، 1962)؛ محمد أمين البغدادي الشهير بالسويدي: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، (بيروت: المكتبة العلمية، د. ت.)؛ أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، (بغداد: دار البيان ومطبعة النجاح، 1958).

الكثير من عادات العرب، ونعرف الكثير عن أيام العرب وأسواقهم، كما أنه مهم لمعرفة لهجات القبائل، وقد يكون مصدراً لمعرفة وسائل الزينة وأشكالها عند العرب، وغير ذلك، كما قد نجد معلومات تتعلق بالعلاقات بين القبائل وتحالفاتها وحروبها، والعلاقات بين الغساسنة والمناذرة من جهة والفرس والروم من جهة أخرى؛ بما يُغطي جوانب ومظاهر حضارة العرب قبل الإسلام. ومن فحول شعراء العرب قبل الإسلام نذكر امرأ القيس (ت. 560 م)، علقمة الفحل (ت. 561 م)، النابغة الذبياني (ت. 604 م)، طرفة بن العبد (ت. 565 م)، عنتره العبسي (ت. 615 م)، عمرو بن كلثوم (ت. 600 م)، وأمّية بن أبي الصلت (ت. 624 م).⁽¹⁾

ثامناً: كتب اللغة

تعتبر كتب اللغة من مصادر حضارة وحياء العرب قبل الإسلام، ذلك أن اللغة العربية التي نكتب بها وننظم بها ليست إلتاج عصر ما قبل الإسلام، ومن ثم فإن مفرداتها لا تزال تعبر عن أوجه الحياة والحضارة، فضلاً عن أن القاموس العربي ليس للمفردات اللغوية فقط، وإنما يجمع المفردات المعرفية والتاريخية والجغرافية والعلمية والفنية، ومن ثم فإن كتب اللغة

(1) يحيى الجبوري: الزينة في الشعر الجاهلي، (الكويت: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، 1984)؛ رحمة بنت عواد السناني: (حلي المرأة في الجزيرة العربية القديمة)، مجلة الدارة، السنة 34، العدد الرابع، (شوال 1429هـ)، ص 159 - 192؛ يحيى الجبوري: الملابس العربية في الشعر الجاهلي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1989)؛ طه حسين: في الأدب الجاهلي، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014)؛ أحمد محمد عبيد: العصر الجاهلي وأدابه في مصادر التراث العربي المفقودة والمخطوطة والمطبوعة، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2000)؛ عبد الحميد محمود المعيني: شعر بني تميم في العصر الجاهلي، (بريدة: منشورات نادي القصيم الأدبي، 1982)؛ أحمد محمد الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1963)؛ حبيبة الزيات: المرأة في الجاهلية، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013)؛ طه حسين: في الشعر الجاهلي، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1926)؛ محمد أحمد جاد المولى بك وآخران: أيام العرب في الجاهلية، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1946).

ومعاجمها مصدر مهم لحضارة العرب قبل الإسلام، وقد ظفرت اللغة العربية بثراء في المعاجم، وتنوع في مناهجها وطرق تبويبها، ومنها القاموس المحيط للفيروز آبادي (729 هـ / 1329-817 هـ / 1415 م)، ولسان العرب لابن منظور (630 هـ / 1232 م - 711 هـ / 1311 م)، وتاج العروس للمرتضى الزبيدي (1145 هـ / 1732 م - 1205 هـ / 1790 م)، والصحاح للجوهري (ت. 393 هـ / 1003 م).⁽¹⁾

تاسعاً: النقوش والآثار

تعتبر النقوش الكتابية الأثرية من المصادر المهمة لتاريخ وحضارة العرب قبل الإسلام بأبعادهما الزمانية والمكانية، وتزداد تلك الأهمية إذا ما قارنا بينها وبين المصادر الأخرى عن تلك الفترة، فهي مصادر محايدة، رغم وجود محاولات لتزويرها. وتنتشر في شبه الجزيرة العربية نقوش آشورية، ترجع للملك سرجون الثاني (721-705 ق. م)، وأسرحدون (680-669 م)، تتضمن دلالات مهمة تتعلق بتاريخ الممالك العربية الجنوبية، وبخاصة مملكة سبأ وعلاقتها مع آشور. بالإضافة إلى النقوش العربية القديمة، والتي تتنوع ما بين النقوش اليمنية والثمودية والصفوية والعربية الشمالية، والتي كتبت بخطوط مختلفة منها: المسند، الآرامي، النبطي، العربي.⁽²⁾ ومن أشهرها

(1) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، (القاهرة: دار الحديث للنشر والتوزيع، 2008)؛ إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، أحمد عبدالغفور عطار (تحقيق)، (بيروت: دار العلم للملايين، 1979)؛ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، عبدالستار أحمد فراج (تحقيق)، (الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، 1965)؛ ابن منظور: لسان العرب، عبدالله الكبير وآخرون (تحقيق)، (القاهرة: دار المعارف، 1984).

(2) محمد علي الحاج: (صورة من مكانة المرأة في مملكة قتيبان في ضوء نقوش مسندية جديدة)، مجلة جامعة حائل للعلوم الإنسانية، العدد الرابع، (يناير 2020)، ص 125 - 144؛ سليمان بن عبدالرحمن الذيب: نقوش صفوية من شمالي المملكة العربية السعودية، (الرياض: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، 2003)؛ محمد حلمي محمد مصطفى: (نقوش كوفية مبكرة من سيناء)، المجلة العلمية لكلية الآداب جامعة أسيوط، العدد 46، (2020)، ص 404 - 434؛ خليل يحيى نامي: نشر نقوش سامية قديمة

نقش أم الجمال الأول بمنطقة حوران بالأردن (250 م)، وهو عبارة عن شاهد قبر للقائد (فهر بن سالي) مربي أو قائد جذيمة ملك تنوخ، ونقش النمارة بمنطقة حوران (328 م)، ويمثل شاهد قبر الملك اللخمي الشاعر الشهير امرئ القيس بن عمرو بن عدي (288-328 م).⁽¹⁾ والنقوش على امتداد بلاد العرب قبل الإسلام تُغطي فترة زمنية تتراوح ما بين القرن السابع قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي، وهذا ما يعطيها أهمية بالغة كمصدر لتاريخ وحضارة العرب قبل الإسلام.

وتُمثل الآثار كذلك شاهداً مادياً على حضارة العرب قبل الإسلام، وقد قدمت بعثات التنقيب الأثرية معلومات مهمة عن جزيرة العرب، ولا شك أن دراسة آثار شبه الجزيرة العربية يحقق مجموعة من الأهداف الدينية والاقتصادية والسياسية والعلمية، وقد حظيت اليمن خاصة باهتمام الدارسين في مختلف فروع المعرفة الإنسانية، منذ أن لفت الرحالة الدنماركي من أصل ألماني كارستن نيبور Carsten Niebuhr (1733-1850)، الانتباه لغناه بالآثار.⁽²⁾

من جنوب بلاد العرب وشرحها، (القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1943)؛ حسين بن علي دخيل الله أبو الحسن: نقوش لحياينة من منطقة العلاء، (الرياض: وزارة المعارف، 2002)؛ سليمان عبد الرحمن الذيب: نقوش جبل أم جذايد النبطية، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2002)؛ سليمان بن عبد الرحمن الذيب: نقوش ثمودية من سكاكا، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2002)؛ سليمان بن عبد الرحمن الذيب: نقوش الحجر النبطية، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1998)؛ عبد الرزاق متاني: علم الآثار وصناعة التاريخ، (أم الفحم: مركز الدراسات المعاصرة، 2010).

(1) يوسف محمد عبد الله: (صور أدبية من خلال الشواهد الأثرية في جزيرة العرب قبل الإسلام)، مجلة رواق التاريخ والتراث، العدد الثاني، (يونيو 2016)، ص 40؛ علي عفيفي علي غازي: أعلام الخطاطين، (الدوحة: دار روزا للنشر والتوزيع، 2020)، ص 39؛ علي عفيفي علي غازي: النقوش والكتابات في كتابات الرحالة الغربيين، (عمان: خطوط وظلال للنشر والتوزيع، 2021).

(2) كارستن نيبور: وصف أقاليم شبه الجزيرة العربية، (بيروت: دار الانتشار العربي، د.ت.)؛ عبد العزيز عبد الفتاح إبراهيم: روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول 1500 - 1840، (بيروت: دار الساقى، 2013)؛

وتُشكّل الآثار، التي خلفها الإنسان، مادةً مصدريةً مهمةً لتاريخ حضارة العرب قبل الإسلام، فهي تُساعد على فهم الماضي؛ لتوضيح الحاضر واستشراف المستقبل، وتتمثل في الآثار المادية كأدوات الحياة اليومية المصنوعة من الحجارة والخشب، والنقوش والتصاویر التي نقشها الإنسان في سقوف الكهوف، وفي العظام والرقوق، فضلاً عن النباتات والمعلومات الجيولوجية فيما يتعلق بأحوال المناخ والبيئة التي عاش فيها، وعندما اهتدى الإنسان إلى استنباط الكتابة أضاف مصدراً جديداً إلى الآثار المادية، ونعني به النقوش على الجبال وألواح الحجر وأوراق البردي والجلود والمعادن، فضلاً عن العمارة كالمباني العامة من القصور والمعابد والبيوت، والآثار الفنية كالمنحوتات والصور وغير ذلك.

عاشراً: التوراة والتلمود

التوراة أو العهد القديم، هي مجموعة من الأسفار، يعود تاريخها إلى ما بين القرن العاشر وأواسط القرن الخامس قبل الميلاد، وقد وردت في أسفارها إشارات إلى العرب، حيث ذكرت أسماء بعض القبائل، ودول الجنوب كسبأ وحضرموت. وتنقسم أسفار التوراة إلى ثلاثة أقسام: الأسفار التاريخية (وتُسمى الشريعة)، والنبوءات، والأدب. وتحيط بصحة التوراة الكثير من الشكوك، منذ أيام الرومان، ولا بد من التفريق بين التوراة، التي أشار إليها القرآن الكريم، وذكر أنها نزلت على موسى، عليه السلام، وهي صادقة تدعو للخير والهداية، وبين التوراة التي حرفها اليهود، وهي التي بين أيديهم اليوم، وكتبت في فترات مختلفة لتوافق أهواء وأطماع وطباع اليهود، حيث حُرِّفت بالتبديل والزيادة والنقص والتأويل وغير ذلك. ويدعو هذا إلى

John Punnett peters: Nippur or Explorations and Adventures on the Euphrates, (New york and London: the tnickerboker press, 1897); Niebuhr m.: Description de l'arabie, (A paris: Chez brunet libraire rue des ectivains, 1779).

الحذر عند الرجوع إلى التوراة كمصدر تاريخي، إذ يجب أن يوافق ما ورد فيها غيرها من المصادر، مع مراعاة توخي الحذر فيما كتبه كتبة التوراة، وما يعتمدون عليه من الإسرائيليات.

كما أن الكتابات اليهودية القديمة ترد فيها إشارات عن تاريخ العرب قبل الإسلام، ومنها (تاريخ حروب اليهود منذ استيلاء أنطيوخوس إبيفانوس حكم سورية (174-164 ق. م) على القدس سنة 170 ق. م إلى استيلاء طيطس على القدس عام 70 م) للمؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس (37-100 م)، ويتضمن أخباراً عن العرب، وبخاصة الأنباط.⁽¹⁾

حادي عشر: المصادر الكلاسيكية

وهي المصادر التي كتبها المؤرخون اليونان والرومان في الفترة اليونانية والرومانية والبيزنطية، وتحدث العديد منها عن الجزيرة العربية، وتتضمن إشارات للحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وقد سمعها مؤلفوها عن التجار، أو من خلال مرافقة بعض المؤلفين للجيش، وتبقى هذه المؤلفات مفيدة في رصد جوانب من تاريخ العرب قبل الإسلام. وأقدم من ذكر العرب من المؤرخين اليونانيين، يرد في مؤلفات أخليس اليوناني (525-456 ق. م)، وقد أثرت كتاباته فيمن جاء بعده، ومنهم هيرودوت (484-428 ق. م)، وثيوفراتس (371-287 ق. م)، بوليبيوس (202-120 ق. م)، وإيراتوستس (286-194 ق. م)، سترابو (64 ق. م-19 م)، ديودور الصقلي (80-30 ق. م)، بلوتارك (46-120 م)، بليني الأكبر (23-79 م)، جالوس بلييوس الثاني (ت. 79 م)، وأريان (95-175 م) الذي اشتهر بمؤلفه عن حروب الإسكندر الأكبر.⁽²⁾

(1) محمد علي سعد الله: في تاريخ مصر القديمة، (الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 2001)، ص 27؛ محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم: (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، د. ت.)، ص 29 - 32.

(2) أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، (بيروت: دار النهضة العربية، 1989)، ص

ومن ناحية أخرى قدمت المصادر المسيحية معلومات ذات قيمة عن جزيرة العرب وسكانها، وعلاقاتهم بالقوى المحيطة، ومنها كتابات المؤرخ الفلسطيني يوسيبوس (260-340 م)، المعروف باسم أوزيب القيصري، مؤلف كتاب الأخبار باللغة اليونانية، وزوسيموس اليوناني (400-443 م)، والمؤرخ البيزنطي بروكوبيوس (ت. 565 م)، وغيرهم الكثير.⁽¹⁾

ثاني عشر: كتابات الرحالة

حظيت شبه الجزيرة العربية باهتمام الرحالة الغربيين، فارتادها عدد من الرحالة الباحثين عن الآثار، والمهتمين بالكشوفات الأثرية، والتي تغطي تاريخ العرب قبل الإسلام، وما يلفت الانتباه أن بعضهم اتبع طرقاً صحيحة في نسخ الرسوم الصخرية والنقوش والكتابات، فضلاً عن حرصهم على توثيق معالم أثرية اندثر بعضها بفعل عوامل الطبيعة أو التدخل الإنساني، ما أكسب عملهم طابعاً علمياً يُستفاد منه في التأريخ لحضارة العرب قبل الإسلام، وكونت معلوماتهم مصدراً للدراسة العلمية، ولا تزال أعمالهم تثبت دقة كاتبها يوماً بعد يوم، وتُعدُّ مصدراً تاريخياً مهماً لكل باحث في تاريخ العرب قبل الإسلام، وكان الرحالة والزائرون من جنسيات متعددة، وكتبوا بلغات مختلفة، واتضح أنهم كانوا يعرفون اللغات القديمة كالآرامية والعبرية والسريانية والبابلية والآشورية، ومنهم:

كارستن نيبور Carsten Niebuhr (1733-1850): انطلق في بعثة علمية أرسلها ملك الدنمارك في سنة 1762، زار فيها اليمن والخليج العربي والعراق، ونبهت كتابات نيبور للأهمية العلمية للنقوش والكتابات في اليمن والعراق وسورية، وتضمن كتابه خرائط تفصيلية وردت فيها الكثير من المواقع الأثرية.⁽²⁾

16 - 19: طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، (بيروت: شركة الورق للنشر المحدودة، 2012)، ص 125 - 129.

(1) حسين الشيخ: العرب قبل الإسلام، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1993)، ص 47 - 50.
 (2) كارستن نيبور: رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، محمود حسين الأمين (ترجمة)، (بغداد: شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، 1965): كارستن نيبور: (بغداد في رحلة نيبور)، مصطفى جواد

توماس أرنو Tomas Arnaud (1812-1882): وهو صيدلاني فرنسي، زار اليمن في سنة 1843، ونقل من صنعا ستة وخمسين نقشاً نشرت جميعاً سنة 1845، وحظيت هذه النقوش باهتمام العلماء؛ لفك رموز الخط العربي الجنوبي المسند، والذي أطلق عليه (الكتابة الحميرية)، وتوالت جهود علماء الآثار حتى تمكنوا من تقسيم النقوش إلى حميرية، معينية، سبئية.

أولريش سيتزن Ulrich Seetzen (1767-1811): أشار في عام 1800 إلى خمسة نقوش في صنعا، رغم أنه لقي مصيره المحتوم في اليمن سنة 1811.⁽¹⁾

جيمس هنري ولستيد James Raymond Wellsted (1805-1942): اكتشف بين عامي (1835-1838) مع هينز Haines نقوش حصن الغراب، التي يرجع تاريخها إلى سنة 525 م، إضافة لاكتشاف أطلال مدينة نقب الهجر في وادي ميفعة.⁽²⁾

جوزيف هاليفي Joseph Halevy (1827-1917): مستشرق ورحالة فرنسي وصل نجران وصنعا سنة 1870، واكتشف 686 نقشاً من 37 موقعاً.

إدوارد جلازر Eduard Glasers (1855-1908): قام بأربع رحلات إلى اليمن ما بين عامي (1882-1894) كان حصيلتها ألفي نص، وبفضلها

(ترجمة)، مجلة سومر، المجلد 20، الجزء الأول والثاني (1964)؛ كارستن نيبور: (بغداد في رحلة نيبور)، مصطفى جواد (ترجمة)، في كتاب: بغداد بأقلام رحالة، (لندن: دار الوراق للنشر المحدودة، 2007)؛ كارستن نيبور: (رحلة نيبور في العراق في القرن الثامن عشر)، محمود حسين الأمين (ترجمة)، مجلة سومر، المجلد 9، الجزء 1 (1953).

(1) Fr. Kruse: Ulrich Jasper Seetzen's reisen durch Syria philstina phonicien die transjordan-lander (1854). Arabia pertraea und unter Aegypten, (Berlin: verlegt bei G. Reimer

(2) جيمس ريموند ولستيد: رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، سليم طه التكريتي (ترجمة)، (بغداد: مطبعة ثويني، 1984)؛ جيمس ريموند ولستيد: تاريخ عمان، رحلة في شبه الجزيرة العربية، عبد العزيز عبد الغني إبراهيم (ترجمة)، (بيروت: دار الساقي، 2002)؛

تمكن العلماء من التعرف على خصائص اللغة العربية الجنوبية القديمة، ومقارنتها بغيرها من اللغات السامية.⁽¹⁾

وندل فيليبس Wendell Phillips (1925-1975): عالم آثار أمريكي، قاد بعض البعثات الأثرية الأولى في اليمن وعمان، حيث تمكن في عام 1952 من اكتشاف فناء معبد أمّقة (القمر).

جون لويس بوركهاردت Johann Louis Burckhardt (1784-1817): زار البتراء في سنة 1812، وأصدر كتابين عن رحلاته في شمال شبه الجزيرة العربية وسورية والأراضي المقدسة.⁽²⁾

جورج أوغست والن George August Wallin (1811-1852): رحالة ومستكشف ومستشرق فنلندي زار بلاد نجد في سنة 1845، وكان له دور واسع في كشف العديد من النقوش. وهو أول رحّالة أوروبي يزور الجوف، ويُعدُّ الرائد الأوروبي الحقيقي، الذي وُقِّع إلى دخول شمال الجزيرة العربية، كما وصف الأماكن الأثرية، واستنبط أحكاماً منطقية عن بقايا الآثار التي رآها.⁽³⁾

(1) Dav Heinr v. Muller und N. Rhodokanakis: Eduard Glasers reise nach Marib, (Wien: Alfred Holder, 1913).

(2) أحمد عبد الرحيم نصر: التراث الشعبي في أدب الرحلات، (الدوحة: مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1995)، ص 57، 58؛ عرفه عبده علي: (رحالة أوروبيون في الجزيرة العربية بوركهات ذو الحية يفتح كنوز الشرق)، مجلة الأهرام العربي، العدد 663، (السبت 5 ديسمبر 2009)؛ نجيب العقيقي: المستشرقون، (القاهرة: دار المعارف، 1980)، ج 2، ص 52. ضيف الله بن يحيى الزهراني: (ملاح من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مكة المكرمة من خلال كتاب رحلات في شبه الجزيرة العربية مؤلفه جون لويس بوركهاردت)، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الثاني، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 2000)، ص 643 - 647. جون لويس بوركهاردت: ترحال في الجزيرة العربية، ج 1، صبري محمد حسن (ترجمة)، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2007).

(3) جورج أوغست فالين: رحلات فالين إلى جزيرة العرب، (لندن: دار الوراق للنشر، 2008)؛ كاي أورنبيري: عاشق الصحراء جورج أوغست فالين حياته ومذكراته، مارية باكلا (ترجمة)، (أبو ظبي: هيئة أبو

ومن الرحالة الذين اهتموا بأثار ونقوش حضارة العرب قبل الإسلام:
ريتشارد بيرتون Ricgard Burton (1821-1890) (1835)،⁽¹⁾ وليام
جيفورد بالجريف Palgrave William Gifford (1826-1888)
Charles Montagu Doughty،⁽²⁾ تشارلز داوتي (1863-1862)
(1843-1926)

(1885)،⁽³⁾ جوسان وسافينياك (1909-1910)،⁽⁴⁾ جون فيلبي John
Philby (1950-1951)،⁽⁵⁾ الباحث النمساوي ألويز موزيل Alois Musil

ظبي للثقافة والسياحة، 2012)؛ محمد همام فكري: من رحالة شبه الجزيرة العربية جورج أوجست
فالين (الشيخ عبدالولي) 1811 - 1852، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 16 (شوال 1417هـ/ مارس
1997)، ص 114، 116؛ عمار السنجرى: البدو بعيون غربية (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي،
2008)، ص 60

Georg August Wallin: Travels in Arabia: 1845 and 1848, (London: Oleander Press, 2013); M. Trautz:
A forgotten Explorer of Arabia: G. A. Wallin, Journal of the Royal Central Asian Society, Vol XIX,
No. II, (January 1932), pp. 130 - 155

(1) ريتشارد بيرتون: رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، 3ج، عبدالرحمن عبداللطيف آل الشيخ (ترجمة)،
(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الألف كتاب الثاني 177، 1995).
(2) وليام جيفورد بالجريف: وسط الجزيرة العربية وشرقها، جزآن، صبري محمد حسن (ترجمة)،
(القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2001):

Bayard Taylor: Travels in Arabia, (Newyork: charles scribner sons, 1892); William Gifford Palgrave:
Notes of a Journey from Gaza, Through the Interior of Arabia, to El Khatif on the Persian
Gulf, and Thence to Omàn, in 1862 - 63, The Royal Geographical Society of London, Vol. 8,
No. 3, (1863 - 1864); William Gifford Palgrave: Un annee de voyage l'ARABIA Centrale (1862-
1863), (Paris: Librery de l'hacnette et co., 1866); William Gifford Palgrave: Central and Eastern
Arabia (1862 - 1863), (London: MacMillan and co., 1866); William Gifford Palgrave: Central and
Eastern Arabia (1862 - 1863), (London: MacMillan and co., 1869).

(3) تشارلز داوتي: تحال في صحراء الجزيرة العربية، صبري محمد حسن (ترجمة)، 2ج، (القاهرة:
المجلس الأعلى للثقافة، 2005):

(Charles M. Doughty: Travels in Arabia Deserta, (New York: The Heritage Press
، 1953).

(4) جوسان وسافينياك: (أعراف قبيلة الفقراء (1))، ترجمة محمود سلام زناتي، مجلة العرب، الجزء 9،
10، السنة 27 (سبتمبر - أكتوبر 1992)؛ جوسان وسافينياك: (أعراف قبيلة الفقراء (2))، ترجمة
محمود سلام زناتي، مجلة العرب، الجزء 11، 12، السنة 27 (نوفمبر - ديسمبر 1992).

(5) هاري سانت جون فيلبي: حاج في الجزيرة العربية، (الرياض: مكتبة العبيكان، 2001)؛ هاري سنت جون

(1868-1944)، وغيرهم الكثير.

فيلبي: أيام العرب، (لندن: روبرت هيل المحدودة، 1948)؛ سانت جون فيلبي: بعثة إلى نجد 1917 - 1918، ترجمة عبد الله الصالح العثيمين، (الرياض: مكتبة العبيكان، 1997)؛

H. St. J Philby: *Arabian Days*, (London: Robert Hale Limited, 1948); Philby, Hary: *St. John Bridger: Arabia of the Wahhabis*, (London: 1928); Philby, St. J. B.: *the Heart of Arabia*, (London: 1922); Philby, St. J. B.: *Jauf and North Arabian Desert*, the *Geographical Journal*, IXIII (1923), PP. 241-59; Philby, St. J. B.: *Transjordan*, *Journal of the Central Asian Society*, XI (1924), PP. 297 - 312; Philby, St. J. B.: *The Triumph of the Wahhabis*, *Journal of the Central Asian Society*, XIII (1926), PP. 293 - 319; Philby, St. J. B.: *The Trouble in Arabia, Iraq and Nejd Frontier*, *Contemporary Review*, XLI (1928), PP. 705 - 15; Philby, St. J. B.: *Arabia 1926 - 1929, Three Years of Wahhabi Rule*, *Contemporary Review*, Cxxxvii (1929), PP. 714 - 19; Philby, St. J. B.: *Arabia Today*, *International Affairs*, XIV (1935), PP. 619 - 34; Philby, St. J. B.: *Arabi Days, an Autobiography*, (London: 1948).

الفصل الثاني

طبقات العرب قبل الإسلام

يتفق العلماء على مصادر ثلاثة للجنس البشري، إلا أن هذه التقسيمات تختلف وفق التصنيف المعتمد، فوفق الأسس الأنثروبولوجية لتقسيم الأجناس البشرية، يقسم البشر إلى:

الجنس الآري: فرس، جرمان، إنجليز، فرنسيين.

الجنس الطوراني: الصينيين، اليابانيين، المغول.

الجنس السامي من العرب: آراميين، عبرانيين، كلدانيين، آشوريين، فينيقيين.

يقسم فريق آخر البشر اعتماداً على لون البشرة إلى ثلاثة أجناس:

الجنس الأبيض: ويشمل الساميين والأوروبيين.

الجنس الأسود: سكان أفريقيا الأصليين.

الجنس الأصفر: يشمل الصينيين واليابانيين والطورانيين.

يقسم فريق ثالث الأجناس البشرية تقسيماً دينياً، وفق ما ورد في التوراة في سفر التكوين إلى أبناء نوح كما يلي:

أولاد يافث: منهم جومر، ماجوج، ميدي، ماشك.

أولاد حام: كوش، مصرائيم، كنعان، فوط.

أولاد سام: عليوم، آشود، أرفخشذ، لود، أرم.

بعد استعراض هذه التقسيمات، نتساءل: هل الساميون جنس؟ بمعنى، هل ينحدرون من أصل واحد، أم أنهم مجموعة شعوب جمع بينها لغات متشابهة، وهنا يفرق الباحثون بين بني سام، أبناء سام بن نوح، والساميين، والتي تعني جميع الأقوام والشعوب التي تتكلم اللغات السامية، وذلك بحسب علماء اللغة وعلماء الأجناس.

وقد افترضت النظريات مواطن مختلفة وجد فيها الساميون، الفرضية الأولى ترى أن أصل الساميين آسيوي، بينما اختلف العلماء حول تحديد أجزاء معينة من آسيا كانت الموطن الأول للساميين، فقيل أرمنية وكرديستان، وقيل بلاد الرافدين، وقيل سورية، وقيل الجزيرة العربية. أما الفرضية الثانية فتري أن أصل الساميين أفريقي، بناء على التشابه في بعض الخصائص الجسدية واللغوية بين الأحباش والبربر والعرب، وعلى هذا يرون أن الموطن الأول للساميين ينحصر في شمال غرب أفريقيا، ومنطقة شرق أفريقيا (الحبشة). والفرضية الثانية تتعرض للكثير من النقد والتفنيد.

العرب أمة من الناس، يُرجعها علماء الأجناس إلى الجنس السامي، ويعتقد البعض أن أصله يرجع إلى الجزيرة العربية، التي كانت الموطن الأول للساميين. وهم قوم يجمعون عدة أوصاف، أهمها لسانهم العربي، وهم شعب قديم، قدم الأجناس البشرية الأولى، ويختلف العرب عن الأعراب، فالعرب هم أهل الأمصار والقرى، والأعراب هم سكان البادية. وقد استخدم ابن خلدون لفظي العرب والأعراب بمعنى واحد، فاستخدم لفظ العرب في وصف طبائع الأعراب ومعايشتهم، فهم الذين يعيشون خارج المدن، ويشتغلون برعي الإبل، ويتخذون من بيوت الشعر مسكناً لهم، ويظعنون من مكان لآخر وفق مقتضيات حياتهم، وحياة أنعامهم، التي يتوقف عليها معاشهم، وهم المقابلون لأهل الحضرة وسكان الأمصار.⁽¹⁾

اتسع مفهوم العروبة فلم يعد يقتصر على الجنس العربي، وسكان الجزيرة العربية، بل تعداهم إلى كل من تكلم باللغة العربية، فصارت العربية هي اللسان، فكل من تكلم بها فهو عربي. ويرى النسابون أن العرب عرق لا جماعة من الناس فقط يتكلمون لغة واحدة.

(1) ابن خلدون: المقدمة، (القاهرة: المطبعة التجارية الكبرى، د.ت.)، ص 149 - 152.

وتوجد إشارات إلى العرب في النقوش الآشورية والفارسية، والمصرية القديمة. ففي النقوش السومرية والبابلية والآشورية ورد ذكرهم يقصدون سكان منطقة غربي الفرات، وفي النقوش الفرعونية، وردت كلمة (عامو) بمعنى البدو الآسيويين. كما يذكر مؤرخو الفرس أن قمبيز بن دارا مؤسس الإمبراطورية الفارسية مر بشمال بلاد العرب سنة 525 ق. م فعقد محالفة مع أهلها وهو في طريقه لغزو مصر.⁽¹⁾

يتفق الرواة وأهل الأخبار على تقسيم العرب إلى طبقتين رئيسيتين: العرب البائدة، والعرب الباقية، ويقسمون الأخيرة إلى العرب العاربة والعرب المستعربة.

أولاً: العرب البائدة

وهم الذين بادوا، ودرست آثارهم، وانقطعت أخبارهم، ونسبت إليهم العديد من الأقسام، مثل: عاد، ثمود، مدين، إرم، جرهم، طسم، وجديس. وهي جماعات بادت وانتهت قبل الإسلام، ولا يوجد أحد يمكنه أن يثبت أنه من نسل هذه القبائل البائدة.⁽²⁾

(1) قبائل عاد: وهي من القبائل التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وذكرت في كتابات بطليموس كلوديوس (121-151 م)، وذكرهم على خريطته لشمال الجزيرة العربية في المنطقة الواقعة شرق خليج العقبة، كما ورد ذكرهم كذلك في الشعر الجاهلي. ويقسمهم الدارسون إلى عاد الأولى، وهي التي أرسل الله تعالى إليها هوداً عليه السلام، وكانت في جنوب الجزيرة العربية بمنطقة الأحقاف، وقد انتهت واختفت من الجزيرة

(1) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، (بغداد: المجمع العلمي العراقي، د. ت.)، ج 1، ص 17، 18؛ محمد مبروك نافع: تاريخ العرب.. عصر ما قبل الإسلام، (القاهرة: 1949)، ص 40 - 43.

(2) أحمد أمين سليم: معالم تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت: مكتبة كريدية إخوان، د. ت.)، ص 61.

العربية بداية من النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد. وعاد الثانية وهي الأقرب زماناً للعصر الإسلامي، وكانت مواطنها في الشمال الغربي من الجزيرة العربية بالقرب من موطن ثمود، وهي عاد التي أشارت إليها خريطة بطليموس.

وحسب الأنساب العربية فإن عاداً جد القبيلة، هو عاد بن عوص بن إرم بن سام، استقر إلى جانب يعرب في اليمن بمنطقة الأحقاف، وحسب الروايات التاريخية كان العاديون يتمتعون ببسطة الجسم، وقوة البدن، وطول العمر، وسعة الرزق، مما يميزهم عن غيرهم من الناس، يقول الحق سبحانه وتعالى: (وزادكم في الخلق بسطة) (سورة الأعراف، الآية 69)، (أمدكم بأنعام وبنين، وجنات وعيون) (سورة الشعراء، الآية 133-134). أما منطقة الأحقاف التي سكنتها قبائل عاد، (واذكر أبا عاد إذ أُنذر قومه بالأحقاف) (سورة الأحقاف، الآية 21)، فهي إقليم الرمال الممتد ما بين حضرموت وبحر عدن، حيث كانت لهم مدينة أسطورية تعرف باسم (إرم ذات العماد) (سورة الفجر، الآية 7).

ويرجع سبب هلاك قبائل عاد، وزوال مملكتهم إلى عتوهم في الأرض، (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة) (سورة فصلت، الآية 15)، هذا بالإضافة لعدم استجابتهم لدعوة نبيهم هود، عليه السلام، واستمرارهم في عبادة الأصنام، ومنها: صداء، بغاء، صمود. وهنا أصابهم القحط المتوالي ثلاث سنوات، وأتتهم رياح صرير عاتية، فعصفت بهم، وصرعتهم وأهلكتهم طوال (سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ حسوماً)، وتركتهم (كأنهم أعجاز نخل خاوية) (سورة الحاقة، الآية 7).

يرجع النسابون قبائل عاد الثانية إلى أبي سعيد المؤمن، الذي آمن بهود، إلا أنه قد انتهى بهم الأمر إلى البغي والعتو والتكبر، فوقع بينهم وبين ثمود حروب

انتهت بفنائهم، حتى لم يبق منهم أحد.⁽¹⁾

(2) قبائل ثمود: وهي من القبائل التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، كما ورد ذكرها في نقشين للملكين الأشوريين: سرجون الثاني (721-705 ق. م)، وأسرحدون (680-669 ق. م)، وكلا النقشين يُشيران إلى صدامات عسكرية بين الأشوريين والتموديين. وتجعل هذه النقوش موطن ثمود في شمال الجزيرة العربية، بالقرب من عاد، وتميزوا بنشاطهم المعماري، إذ كانوا ينحتون بيوتاً في الجبال. وقد ورد ذكر لقبائل ثمود في الشعر الجاهلي، والكتابات الإسلامية، ومؤخراً اكتشفت العديد من النقوش التمودية.

ويُرجع النسابون قبائل ثمود إلى ثمود بن عابر بن إرم، ويذكر الرواة أنهم هاجروا إلى اليمن، حيث تكلموا اللسان العربي، ثم انتشروا في الجزيرة العربية، حتى استقروا بين الحجاز والشام، مؤسسين دولتهم الثانية، وقد اتصفوا بالفضل في الأبدان، والقوة وطول العمر، والسعة في الرزق، فلما انتشر بينهم الطغيان والفساد أرسل الله إليهم نبيهم صالح؛ ليدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، ويفهم من الرواية التاريخية أن قبائل ثمود كانت لهم دولة لها مؤسساتها السياسية والدينية، وكانت أعيادهم مواسم تجارية دينية اجتماعية، وكانت بمثابة فرصة لمناقشة أمور الجماعة على كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية والدينية، إذ طلب جماعة منهم من نبي الله صالح، عليه السلام، أن يصنع لهم آية يعتبرون بها، فكانت الناقة، إلا أن الناقة قاسمتهم الماء، فما كان منهم إلا أن عقروها، فأخبرهم صالح أن الله سينزل بهم العذاب بعد ثلاثة أيام،

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (بيروت: 1978)، ج1، ص48؛ ابن كثير: البداية والنهاية، (بيروت: 1978)، ج1، ص131؛ هارون يحيى: الأمم البائدة، ميسون نهلوي (ترجمة)، (أنقرة: المترجم، د.ت.)، ص70 - 85.

واتفقوا مع آل صالح أنهم سينتظرون، فإن نزل بهم العذاب فهو صادق، وإلا سلمه أهله إليهم، ونزل العذاب بتمود خلال ثلاثة أيام، وأتتهم الصعقة في اليوم الرابع فقضت عليهم. أما من آمن مع صالح فقد خرجوا إلى الشام، حيث نزلوا بفلسطين، إذ يحدد الكتاب اليونان بلاد تمود في مطلع التاريخ الميلادي بمنطقة الحجر.⁽¹⁾

(3) قبائل مدين: وهي من القبائل التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وأهل مدين عرب يسكنون مدينة (مدين)، التي تقع في أطراف الشام، مما يلي الحجاز، وكانوا يعبدون الأوثان من دون الله، ويحتكرون التجارة، ويعبثون بالكيل والميزان، فبعث الله لهم أخاهم شعيباً رسولاً، ولكن قبيلة مدين لم تُجب دعوة شعيب، فلما يئس نبيهم من هدايتهم استنصر الله سبحانه وتعالى عليهم، فأصابتهم صيحة عظيمة من السماء أهلكتهم، ونجى الله شعيباً والذين آمنوا معه.⁽²⁾

(4) قبائل طسم وجديس: وهي من القبائل التي لم يرد ذكرها في القرآن الكريم، ويُرجع النسابون أنساب طسم إلى لاوذ بن إرم بن سام بن نوح، وجديس إلى جديس بن عامر بن إرم بن سام بن نوح، ويشير الآثاريون إلى أن مساكنهم في منطقة (جو)، التي عُرفت فيما بعد باليمامة والبحرين، وقد ورد ذكر قبيلة طسم في نقش يوناني يرجع تاريخه إلى سنة 322 م. وذكر بطليموس جديس في جغرافيته بأنها قبيلة من قبائل العرب، زار قصرأ لهم في اليمامة في حوالي عام 125 م.

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج1، ص50، 51؛ جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص329؛ هارون يحيى: الأمم البائدة، ص86 - 93.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، (بيروت: 1979)، ج5، ص77، 78؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج1، ص184، 185.

ويذكر المؤرخون أن الطرفين اشتبكا في معركة شديدة على إثر تعرض جديس للظلم والإذلال على يد حاكمهم من طسم، فدارت معركة رهيبة لم ينج فيها من طسم إلا رجل واحد، فر إلى حسان بن تُبع، ملك حمير، وطلب منه المساعدة في محاربة جديس، فوافق ملك حمير، وأمدّه بجيش كبير سار معه، إلا أن زرقاء اليمامة أخت رباح بن مرة حذرت جديس بينما كان الجيش الحميري على مسيرة ثلاثة أيام من اليمامة، وأخبرهم أنها ترى شجراً يتحرك، وراه جنود يحملون سلاحاً، فلم يصدقوها، حتى وصل الجيش الحميري، فأباد جديس عن آخرها، وهكذا كان فناء طسم وجديس. وبناء على الأبحاث الحديثة يُمكن تحديد نهاية كل من طسم وجديس بأوائل القرن الخامس الميلادي، حيث عاش الملك حسان بن تُبع.⁽¹⁾

(5) قبائل عبيل: وهم أبناء عبيل ولد عوصى أخي عاد، وهم الذين اختطوا مدينة يثرب، وعاشوا فيها حتى قدم إليها العماليق وطردهم، ويذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى أنهم تعرضوا لسيل جارف اجتحفهم واجتاح مساكنهم، فسمي موضعهم الجحفة.

(6) قبائل العماليق: ينتسبون إلى عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وهم من أقدم قبائل العرب، وقد انتشروا في جهات متفرقة من الجزيرة العربية. وقد ذكرت التوراة أنهم من أقدم الشعوب التي سكنت جنوب فلسطين، وأنهم كانوا في صدام مستمر مع بني إسرائيل، وأن شاؤل ملك إسرائيل حاربهم، حتى أباد كل ممتلكاتهم.⁽²⁾

(1) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (القاهرة: دار المعارف، د. ت.)، ج 1، ص 629؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 5، ص 442؛ جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 1، ص 340.

(2) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 1، ص 347.

(7) قبائل جرهم: يعتبرهم عبيد بن شرية الجرهمي آخر العرب البائدة، حيث كان عبيد آخر ممثليهم، إذ استقروا بمكة المكرمة، وصاهرهم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ويقسمهم البعض كعاد وثمرود إلى جرهم الأولى، وجرهم الثانية، ويقصدون الممالك أو الدول التي كونتها هذه القبائل. وتذكر الروايات التاريخية أن جرهم خرجت في هجرة من اليمن، نتيجة الصراعات من أجل أسباب الحياة. وينسبون إلى جرهم بن قحطان بن عابر، أي ابن رأس ملوك اليمن قحطان، وشقيق يعرب، ولقد استقر أبناء جرهم الذين تكاثروا في اليمن، ومنهم: هزان، ذيال، العاد. وتعطي كتب العرب تصوراً عنهم بأنهم كانوا يتمتعون بأجسام عظيمة، وأعمار طويلة، وزيادة في القوة والبأس، مثل عاد والعماليق.

ينتهي أمر جرهم بالحرب بينهم وبين بعض بني حمير، وهنا وجد الجرهميون أنه لا طاقة لهم بحمير، فقررروا الرحيل إلى الحجاز، وبخاصة مكة المكرمة، تحت قيادة زعيمهم مضاض بن عمرو، الذي ملكوه على أنفسهم. وتصل جرهم إلى مكة المكرمة، حيث كان أهلها العماليق، فتعايشوا معاً فترة من الزمن، وعندما يستقر إسماعيل بن إبراهيم في مكة المكرمة يصاهر جرهماً؛ فيكون بنوه جميعاً، وهم العرب المعدية من زوجته الجرهمية، ويأتي فناء جرهم فجأة من دون مقدمات مناسبة، ويبدو أن السبب هو خروجهم على دعوة إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، حيث لم يبق منهم إلا عشرون رجلاً كانوا مؤمنين، وكان آخر ملوكهم العظام الحارث بن مضاض، موضوع أدب شعبي عربي طريف، بقيت أصدائه حتى صدر الإسلام، فقد كان يملك مكة المكرمة، وما والاها من الحجاز والتهائم إلى حجر، والأنعمين وحضر العالمين إلى مدين وثمرود، وفي أواخر أيامه هام عشقاً بمية ابنة الزعيم مهليل بن عامر، وكانت أجمل ما رآته العيون،

فتسير إلى أخوالها، ويتبعها مضاض، هلعاً جزعاً مضرباً عن الشراب حتى الموت، وتلحق به مية، ميتة عطشى هي الأخرى، بعد أن أوصت بأن تُدفن إلى جانبه، ولا تنتهي الأسرة الجرهمية عند الحارث بن مضاض، إذ يجعل ابن منبه خليفين في حكم مكة، هما عمرو بن الحارث، ثم البشر بن عمرو، الذي كان آخر ملوكهم.

وهكذا تنتهي أخبار العرب البائدة ممن أشارت إليهم الروايات العربية القديمة، بعد أن دخل ما بقي منهم في عدد قحطان وعدنان.

ثانياً: العرب الباقية

يُقصد بها أقدم سكان شبه جزيرة العرب، ويقسمهم النسابون إلى فرعين: (1) العرب العاربة: وينتسبون إلى قحطان بن عامر بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وهو أول ملوك اليمن، والذي خلفه ابنه يعرُب جد العرب الجنوبيين. وهم أصحاب اللسان العربي الأصيل، ويُعرفون كذلك بالعرب القحطانية، وموطنهم جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، أي بلاد اليمن، ولهذا يُعرفون بعرب الجنوب أيضاً.

يقسم النسابون العرب العاربة إلى قسمين أوفرعين كبيرين، هما: جرهم ويعرُب، ويذكرون أن الفرع الجرهمي قد أبيض، كما سبق الذكر، بينما بقي فرع يعرُب، الذي تشعب إلى مجموعتين من القبائل هما: حمير، وكهلان. ويرجع نسب حمير إلى حمير بن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرُب بن قحطان، حيث كان أبناؤه هم أجداد قبائل حمير، التي من أشهرها قبيلة قضاة، التي يرجع نسبها إلى قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير. ومن أشهر بطونها: جهينة، وكنب، وبهراء، وبنونهد، وسعد هزيم، وبنو مرة، وتنوخ. وعندما أشرقت شمس الإسلام على شبه الجزيرة العربية كانت تقيم في الحجاز على مقربة من المدينة المنورة بين ساحل البحر الأحمر ووادي القرى.

بينما يرجع نسب كهلان إلى كهلان بن سبأ شقيق حمير بن سبأ، وانحدرت قبائل كهلان كلها من مالك وعريب، ابني زيد بن كهلان، ومن أشهر بطونها الأزد، وهي مجموعة من القبائل منها: الأوس والخزرج، ومازن وجفنة، والجلندي وخزاعة، وهمدان وجدام، ولخم وطيء ومدحج.

(2) العرب المستعربة: وينسبون إلى عدنان بن أدد بن كثوم بن مقوم بن ناحور بن تاريخ بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم، لذلك يُعرفون كذلك بالعدنانية، وعُرفوا بالعرب المتعربة؛ لأن جدهم لم يكن يتكلم باللسان العربي، ونزل مكة المكرمة وتعلم اللغة العربية من خلال مصاهرته للقبائل اليمانية، وموطنهم شمال شبه الجزيرة العربية، ولهذا يُعرفون بعرب الشمال أيضاً.⁽¹⁾

وتفرعت القبائل العدنانية، أو العرب المستعربة، من نسل ولدي عدنان: معد وعك. وقد استقرت الأخيرة (عك) في بلاد اليمن بعد أن تزوج عك من الأشعريين وأقام معهم، ولذلك اختلط نسبه بالقبائل القحطانية.

وتفرعت معد إلى قبائل أربع: إياد، نزار، قنص، أنمار. وكانت منازلهم في تهامة، ثم ارتحلوا بسبب الحروب، حيث نزل قسم منهم في العراق بالأنبار وتكريت، وذهب قسم آخر إلى البحرين وهجر، حيث انضموا إلى قضاة، بينما سكن قسم ثالث منهم بلاد الشام حيث دانوا للغساسنة.⁽²⁾

وتعدُّ قبائل عنزة من أسد من ربيعة بن نزار من القبائل العربية الكبيرة قبل الإسلام، ولها بطون وأفخاذ كثيرة في نجد والحجاز وبادية الشام.

(1) حمدي حسين علوان التميمي: (الحياة العامة عند العرب في عصر ما قبل الإسلام)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد 4، العدد 14، (ذي الحجة 1433هـ/ تشرين الأول 2012)، ص 165، 166.

(2) جواد علي: المنفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت وبغداد: دار العلم للملايين ومكتبة النهضة، 1976)، ج 1، ص 375 - 409.

كما كانت قبائل بكر بن وائل من جديلة من عنزة من القبائل الكبيرة، التي كان لها شأن عظيم عند ظهور الإسلام، وكانت لها حروب طويلة مع تغلب استمرت سنين ووقعت فيها عدة وقائع. كذلك كانت قبائل تغلب بن وائل من جديلة من عنزة من القبائل العربية، التي ورد ذكرها كثيراً في مؤلفات النسابة والمؤرخين والأدباء، واتصلت بالفساسنة والمناذرة والفرس والروم، ودارت بينهم وبين التغلبيين أيام وحروب.⁽¹⁾

ناصر الدين الأسد: (مقدمة لدراسة القبائل العربية في الخليج وهجراتها وعلاقاتها بالجزيرة العربية)، في كتاب لجنة تدوين تاريخ قطر واتحاد المؤرخين العرب: مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، ج2، (الدوحة: مؤسسة دار العلوم للطباعة والنشر، 1976)، ج1، ص 81 - 95.

الفصل الثالث
الحياة السياسية للعرب قبل
الإسلام

تمتد فترة حضارة العرب قبل الإسلام من نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وحتى القرن السابع الميلادي، ويلاحظ فيها ازدياد عدد الممالك العربية، وبخاصة في شمال شبه الجزيرة العربية بما يعكس ازدهارها، ويُشير إلى التفتت عوضاً عن الاتحاد في مملكة واحدة.

أولاً: القبيلة

تُمثل القبيلة وحدة التنظيم السياسي عند العرب قبل الإسلام، والقبيلة أسرة كبيرة تتكون من أبنائها الذين يؤمنون بالانضمام إليها، ويحترمون عرفها المتفق عليه فيما بينهم، ويتعصبون لها، ويدافعون عنها. ويختلف الانتماء للقبيلة عن الانتماء العام للجنس أو الأمة، فالأول يحمل في طياته شعوراً أقوى بكثير من الآخر. يقول ابن خلدون: «اعلم أن كل حي أو بطن من القبائل، وإن كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ففيهم أيضاً عصبية أخرى لأنساب خاصة هي أشد التحاماً من النسب العام لهم مثل عشير واحد أو أهل واحد أو إخوة بني أب واحد»⁽¹⁾. وقد حفظت العصبية القبلية التوازن بين القبائل العربية في بادية العرب، إلا أنه كان يشوبها التعصب البعيد عن التعقل في مواجهة الأزمات والمسائل الخطيرة التي قد تنشأ بين القبائل.

يتربع على قمة القبيلة الشيخ، والذي لُقّب عند مملكتي الحيرة والغساسنة بلقب الملك أو الأمير⁽²⁾، ويجب أن يتصف بالشجاعة والجدود والكرم والغنى وسداد الرأي والتجربة، وأصالة النسب إلى القبيلة، وأن يكون ذا خبرة ورجاحة عقل. يقول ابن خلدون: «الرئاسة لا تكون إلا بالغلب، والغلب إنما

(1) ابن خلدون: المقدمة، (القاهرة: المطبعة التجارية الكبرى، د.ت.)، ص 131.

(2) محمد مبروك نافع: عصر ما قبل الإسلام، (القاهرة: مطبعة السعادة، 1952)، ص 95، 111.

يكون بالعصبية، فلا بد من الرئاسة على القوم أن تكون من عصبية غالبية لعصبياتهم واحدة واحدة، لأن كل عصبية منهم إذا أحست بغلب عصبية الرئيس لهم أقروا بالإذعان والاتباع»⁽¹⁾ ولم تكن رئاسة القبيلة وراثية بالضرورة، لأن استيفاء الشروط الضرورية للسيادة كان يتقدم على مسألة الوراثة.

وتقع على عاتق شيخ القبيلة عدة مهام، أهمها قيادة القبيلة في الحروب، وتقسيم الغنائم، واستقبال الوفود، وعقد المحالفات، وإكرام الضيوف، كما كان يقضي في مسائل الزواج والطلاق، ويفصل في النزاعات. وتتمثل حقوقه في احترام رأيه وتوقيره، والامتثال له وطاعته في الحروب، ويأخذ ربع الغنائم من الغزوات، ولم تكن له سلطة مطلقة على أبناء القبيلة، وإنما كانت سلطته معنوية مستمدة من قوة عصبيته، وكثرة أتباعه.⁽²⁾

عرفت القبيلة مجلس القبيلة، الذي يتألف من زعماء البطون والعشائر، وله سلطة الفصل في الأمور المهمة، التي تمس حياة القبيلة ومصير أبنائها، وكان يتكون من الخطيب، لسان القبيلة، الذي يدافع عنها، والشاعر الذي يمدح أبناءها، ويهجو أعداءها، ويتغنى ببطولاتها، والكاهن، الذي يلجؤون له لاستشارته في الأمور العظيمة، والعراف الذي يأتي في منزلة أقل من الكاهن، لأنه لا يوحى إليه بشيء، بينما يكون على درجة من الذكاء والتفرد في التجارب والأمور، فهو ذورأي ثاقب، والقصاص، وهو من يقص على أبناء القبيلة قصص البطولة والشرف ليحمسهم ويشجعهم على مواجهة الأعداء والتصدي لهم، والصبر على القتال، هذا بالإضافة لكبار مشايخهم من ذوي التجربة والكفاية.

(1) ابن خلدون: المقدمة، ص 132.

(2) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت وبغداد: دار العلم للملايين ومكتبة النهضة، 1980)، ج 4، ص 344، 345.

يجتمع مجلس القبيلة في النادي، وهو المكان الذي كان يجلس فيه القوم، ويقضون فيه أمورهم، ويجتمع المجلس كلما دعت الضرورة، فإذا ما كانت القبيلة في حالة حرب مع قبيلة أخرى يظل المجلس منعقداً من أجل التجهيز للقاء العدو، ولإغراء القبائل الأخرى بالانضمام إليها لتتقوى بها، إذ كانت الأحلاف تمثل العصبية الكبيرة التي تشمل القبائل والعشائر المتحالفة، وهي المجتمع القبلي الكبير، الذي تنصهر فيه القبائل من أجل المؤازرة والحماية والدفاع المشترك.⁽¹⁾

ثانياً: أيام العرب

لقد أدت الفرقة السياسية في المجتمع العربي ما قبل الإسلام، إلى اشتعال الحروب بين القبائل، فقامت بينها حروب طويلة لا تكاد تنتهي، وعرفت بالأيام، أو أيام العرب، وسميت هكذا لأنها كانت تقع وتستمر طوال النهار، ثم تتوقف ليلاً، وترجع في أسبابها الرئيسة إلى النزاع على الماء والمرعى والماشية، والأخذ بالتأثر، وإبراز الشجاعة، والافتخار بالبطولة.⁽²⁾

ولم تكن أيام العرب كلها حروباً بالمعنى المعروف للحروب، وإنما كانت مجرد مناوشات أو مهاترات لا يسقط فيها إلا بضعة رجال، ومنها أيام وقعت في عدة سنين، تتجدد في المناسبات، وتنتهي بتسوية يتفق فيها على دفع ديات القتلى، وإنهاء المشكلات بسبب الإثارة.⁽³⁾

(1) محمد محمود جمعة: النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية، (القاهرة: مطبعة السعادة، 1949)، ص 175 وما بعدها.

(2) علي عفيفي علي غازي: تطور مناهج البحث في الدراسات التاريخية، (الدوحة: دار زكريت للنشر والتوزيع، 2020)، ص 37، 38.

(3) جمال حسين حماد: (السرديات التاريخية في أيام العرب)، مجلة الجسرة الثقافية، العدد 35، (خريف 2014)، ص 101 - 109؛ محمد أحمد جاد المولى بك (وآخران): أيام العرب في الجاهلية، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1942)، ص ط-ك.

ومن أشهر أيام القحطانيين، أو عرب الجنوب، تلك الأيام التي دارت بين المناذرة والفساسنة، ومن أهمها يوم (عين أباغ)، و(مرج حليمة)، إذ وقعا بين رئيسين مشهورين من القحطانيين، هما الحارث بن جبلة الغساني، والمنذر ابن ماء السماء، الذي قتل في اليوم الأول، وخلفه ابنه المنذر، الذي تلقب بالأسود، ولكنه قتل في اليوم الثاني.⁽¹⁾ ومنها يوم اليردان بين كندة وقضاعة، وذلك بسبب إغارة كندة وربيعة على البحرين بقيادة حجر بن عمرو بن معاوية الكندي، فلما علم بذلك زياد بن الهبولة، أحد ملوك غسان من قضاعة، سار على رأس أصحابه إلى المواضع التي كانت تقتطنها القبيلتان، واستولى على أموالهم وسبى حريمهم.⁽²⁾ ومنها يوم الكلاب الأول، يوم اليحامي، حروب الأوس والخزرج وبخاصة يوم بعث.

أما أشهر أيام العدنانيين، أو عرب الشمال، فهي حرب اليسوس التي دارت بين بكر وتغلب ابني وائل، ووقعت بين الحين والآخر، وكانت وقعت ومغاورات، واستغرقت سنين طويلة، ومنها يوم مبايض، بين بني مرة بن ذهل بن شيبان وبني عائدة حلفاء بني ربيعة، ويوم الوريين بين بكر بن وائل وتميم بسبب النزاع على الماء والكلأ، ودارت معارك بين قبائل قيس فيما بينهم، ومن أهمها يوم داحس والغبراء بين عبس وذبيان، ومن الأيام التي دارت فيها الحرب بين قيس وتميم يوم شعب جبله، أما أشهر الحروب التي دارت بين قيس وكنانة فهي أيام الفجار.

وشهدت شبه الجزيرة العربية كذلك حروب بين القحطانيين والعدنانيين، لعل من أشهرها يوم خزار، الذي يعتبر من أعظم أيام العرب قبل الإسلام، ويوم ظهر الدهناء الذي انتصرت فيه قبائل طيء على بني أسد، وكذلك

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 1، ص 326.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 1، ص 301، 302.

انهزمت قبائل مذحج القحطانية في يوم الكلاب الثاني على أيدي بني تميم
العدنانية.⁽¹⁾

ثالثاً: الممالك العربية

لقد شهد جنوب شبه الجزيرة العربية ظهور دويلات صغيرة، وممالك
كبيرة هي: سبأ، قتبان، معين، حضرموت، أوسان، ومملكة حمير. وكان لكل
مملكة عصرها واتساعها، وعاصمتها، وإلهها، ومنطقة نفوذها.

أقدم ممالك الجنوب هي سبأ، إذ يعود تاريخها إلى القرن الثامن قبل
الميلاد، واتخذت من مأرب عاصمة لها. وفي القرن الرابع قبل الميلاد برزت
مملكة قتبان مستقلة عن سبأ، متخذة من (تمنع) في وادي بيحان عاصمة
لها، كما استقلت حضرموت في نفس الفترة عن سبأ، وكونت لنفسها مملكة
ذات نفوذ في وادي عرمة، متخذة من (شبوه) عاصمة لها، وكذلك انفصلت
مملكة معين عن سبأ، وأقامت حاضرتها (قرناو) على وادي الجوف.
وبحلول القرن الرابع قبل الميلاد استقلت أوسان متخذة من (بهر) على
وادي مرخة عاصمة لها، كما سنتناول لاحقاً.

وفي شمال اليمن، عند وادي الدواسر، نشأت مملكة كندة الأولى في قرية
(الفاو) منذ القرن الثالث قبل الميلاد. وقضت غزوات ملك المناذرة امرئ
القيس على استقلال مملكة كندة، ونزح شعبها إلى الجنوب؛ واستقروا في
أرض أوسان القديمة، وانخرط عدد منهم في جيش حمير. وتعاقب عليها
عدد من الملوك، انتهوا بشاعر المعلقات، الملك الطريد، امرئ القيس في عام

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج1، ص 231، 326، 300، 301، 302، 310، 321، 323، 324، 345، 348،
356، 359، 367، 379، 383، 385، 388، 402، 403، 411، 413، 417، 419؛ أبو فرج الأصفهاني: كتاب
الأغانى، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010)، ج3، ص
18، 37، 43، 52، 8، ص 240، ج10، ص 28، ج13، ص 140، ج15، ص 82.

542 م، وانتهى بذلك ملك كندة، وقدم وفد هم على النبي (صلى الله عليه وسلم) في عام الوفود 632 م / 10 هـ، وكانوا متصربين فأسلموا. وفي عام 115 قبل الميلاد زحف الحميريون على سبأ، وأقاموا حاضرتهم الجديدة (ظفار)، وامتد نفوذهم إلى وسط الجزيرة، وربما شمالها. وامتد ذكروهم حتى ظهور الإسلام، وكانت مملكة ثرية، تمكنت من بناء القصور والسدود والطرق، وبقيت حمير سيدة اليمن حتى قضى الأحباش على استقلالهم في عام 525 م. واستمر حكم الأحباش في اليمن 50 عاماً، حتى تمكنت فارس الساسانية من الاستيلاء عليها، وبقيت في حيازتها حتى الفتح الإسلامي. وفي الفترة نفسها ازداد النشاط البطلمي في البحر الأحمر، ونشطت الرحلات من مصر إلى الهند، وشهد القرن الأول قبل الميلاد ازدهار التجارة الشرقية.

تخضع بلاد الرافدين وسوريا في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد لحكم الإغريق بقيادة الإسكندر المقدوني، ثم تشهد صراعات قواده فيما بينهم، وتناوب السيطرة على شمال الجزيرة مملكتان هما: لحيان والأنباط، إذ ازدهرت مملكة لحيان في شمال غرب الجزيرة العربية منذ القرن السادس قبل الميلاد، وحتى القرن الأول قبل الميلاد، حتى سقطت على يد الأنباط، وكان مقرها مدينة ددان (العلا حالياً)، شمال يثرب. أما الأنباط فقد ظهرت مملكتهم المستقلة منذ نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، واستمرت حتى بداية القرن الثاني الميلادي، عبر تاريخ طويل من الصراعات الداخلية والخارجية، والإنتاج الحضاري. وقد امتد تاريخ الأنباط بوصفها مملكة مستقلة حتى عام 106 م حين أسقط الرومان مملكتهم؛ ليضموها إلى إمبراطوريتهم، وأطلقوا عليها المقاطعة العربية، وعندئذ أصبحت بصرى عاصمة الشام.

كانت عاصمة الأنباط هي الرقيم أو البتراء في التسمية اليونانية، ونحتوا في الجبال كذلك مدائن صالح، وغلب على نظامهم السياسي الملكية الديمقراطية، التي تعد امتداداً لنظام شيخ القبيلة. وجمعت بين الأنباط وأهل تيماء علاقات متعددة اجتماعية واقتصادية ودينية، وكشفت التنقيبات في تيماء عن عدد من الكتابات النبطية. وفي نفس الفترة التاريخية تقريباً شهدت مدينة دومة الجندل في منخفض الجوف منذ القرن الثامن الميلادي نشأة مملكة عربية حكمتها النساء، ممن خضن حروباً مع الأشوريين.

عاصر الأنباط مملكة الحضر الواقعة في منطقة الجزيرة الفراتية، ويُطلق عليها اسم مدينة الشمس، وكانت مدينة ومملكة دينية بالدرجة الأولى، كان لها دور تجاري على طريق القوافل القادمة عبر الخليج العربي⁽¹⁾.

وفي شمال صحراء بادية الشام تقع مملكة عربية صحراوية هي مملكة تدمر، نشأت في الفترة السلوقية، واستمرت مدينة قوافل لطريق الحرير، وإحدى تفرعات طريق البخور من الخليج العربي، وهي مدينة ازدهرت في القرن الأول قبل الميلاد، ولكن أسقطها الإمبراطور الروماني أورليانوس في عام 237 م.

ظهرت مملكة الحيرة أو مملكة المناذرة في عام 268 م بجنوب العراق على نهر الفرات، ومارست نوعاً من الاستقلال عن الحكم الساساني، ودخلت في علاقات سياسية مع جيرانها من البيزنطيين والقبائل العربية.

وفي شمال غرب شبه الجزيرة العربية قامت دولة الغساسنة متخذة من الجابية جنوب دمشق عاصمة لها، وتعود أصولهم إلى الأزد اليمينية، وحكم الغساسنة من نهاية القرن الخامس وحتى منتصف القرن السادس الميلادي.

(1) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى: الحضر مدينة الشمس، (بغداد: مديرية الآثار العامة بوزارة الإعلام، 1974)، ص 403.

في منتصف القرن الرابع الميلادي كانت قبائل عربية تسكن جنوب الشام وفلسطين تحيا في ظل بقايا النفوذ العربي القديم للأنباط، ثم خضعوا للحكم البيزنطي، ودخلوا في الصراعات المذهبية التي نشأت ما بين مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح، ومذهب الطبيعتين ومنهم قبيلة سليح الضجاعة التي تنسب إليها الملكة ماوية.

أهم الممالك التي نشأت على جانب الخليج العربي مملكة ميسان، وتدعى لدى اليونان خاراكس، ولدى المسلمين كرك ميسان، وتقع على الخليج العربي عند التقاء شط العرب بنهر قارون، وتدعى اليوم بالمحمرة.

في الجنوب نشأت مملكة الجراء، التي تتوسط الخليج العربي حالياً، وهي مدينة مزدهرة منذ القرن الرابع قبل الميلاد، ولكن اختلف فيها فقبل هي العقير أو الهضوف أو قرية الفاو، وإلى الجنوب من جراء كان هناك مملكة عربية أخرى عرفت باسم مملكة عمانا أو صحار أو ماكا أو ماكاي، في شبه جزيرة عمان، وتمثل حلقة الوصل بين الخليج العربي وساحل جنوب الجزيرة العربية.

(1) مملكة الحيرة: الحيرة مدينة قديمة جنوبي الكوفة، ويميل بعض المؤرخين إلى أنها مشتقة من السريانية (Herta)، والتي تعني المخيم أو المعسكر،⁽¹⁾ وكان سكان الحيرة الأصليون قبائل عربية اعتنقوا النصرانية على مذهب الكنيسة السورية، وقامت علاقتهم بدولة الفرس على أساس أن يقدم عرب الحيرة الطاعة لكسرى فارس، وهو يولي عليهم أميراً من بينهم.⁽²⁾

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج1، ص267: الحموي: معجم البلدان، ج2، ص328: أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، (القاهرة: 1954)، ج2، ص479.

(2) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، ص6.

يرى معظم المستشرقين أن كلمة (الحيرة) من أصل سرياني، حيرتا أو حيرتو ومعناها المخيم أو المعسكر. وعرفت الحيرة في مؤلفات المؤرخين السريان بأنها (الحيرة مدينة العرب) كما عرفت بأسماء ملوكها، واشتهرت الحيرة في الأدب العربي بحسن هوائها، وورد ذكرها كثيراً في شعر الشعراء الجاهليين والإسلاميين. وأدى تأسيس الكوفة إلى أفول نجم الحيرة، وانتقل الناس للكوفة، واستعملوا أحجار الحيرة في بناء الكوفة. وباتت من المدن المندثرة.

وملوك الحيرة هم آل لحم، أو المناذرة. وتاريخ مدينة الحيرة قبل الميلاد غامض، ولا يعرف عن منشأها شيئاً، يُرجعها الإخباريون إلى أيام بختنصر مؤسس الأنبار. واعتبرها بعض المؤرخين العرب جزءاً من تاريخ الفرس، بينما دون تاريخها البعض الآخر في باب مستقل. وأهل الحيرة عرب، يقسمهم المؤرخون إلى طبقات ثلاث: تنوخ، العباد، الأحلاف. تنوخ: قبائل سكنوا بيوت الشعر بين الحيرة والأنبار. وهم أعراب الحيرة. العباد: سكنوا الحيرة، فهم حضر مستقرون، وكانوا مسيحيين. ومدلول الكلمة يقتصر على نصارى الحيرة دون غيرهم. الأحلاف: الذين لحقوا بأهل الحيرة، ونزلوا فيها، ولم يكونوا في الأصل من تنوخ أو من العباد. وكان بعضهم يتكلم العربية بركاكة ظاهرة أثرت في لسان أهل الحيرة. كانت للوثنيين من أهل الحيرة أصنام منها: اللات والعزى، وسيد، ومحرف. ونصارى الحيرة من النساطرة، ومن الحيرة انطلق المبشرون بالنصرانية إلى اليمن، وغيرها من بقاع شبه الجزيرة العربية، كما سنذكر لاحقاً.

وكان جذيمة الأبرش، أو جذيمة الوضاح، هو أول ملوك العرب الجنوبيين، الذين اتخذوا من الحيرة مقاماً لهم. وخلفه ابن اخته عمرو بن عدي اللخمي، المؤسس الحقيقي لمملكة اللخمين في الحيرة، وولي امرؤ القيس

الحكم في مملكة الحيرة بعد وفاة أبيه عمرو بن عدي، وبلغت المملكة في عهده أقصى اتساع لها، ولما توفى في سنة 328 م، خلفه ابنه عمرو بن امرئ القيس، الذي حكم المملكة حتى عام 363 م، ثم تنافس أبناؤه على العرش، فانتهمز أوس بن قلام، أحد أشرف الحيرة من خارج البيت اللخمي، الفرصة ونصب نفسه ملكاً على المدينة، إلا أنه قتل على يد أحد أبناء عمرو بن امرئ القيس، وعادت السلطة إلى البيت اللخمي حيث تولى امرؤ القيس الثاني في سنة 368 م، وخلفه ابنه النعمان الأول، وازدهرت المملكة في عهده، وأقام جيشاً عظيماً، وخلفه ابنه المنذر، وسار ملوك الحيرة في مساعدة أكاسرة فارس، والوقوف إلى جانبهم في حروبهم ضد الروم، حتى ساءت العلاقات بين الفرس والروم في سنة 528 م، وانضم المنذر الثالث بن ماء السماء إلى الفرس، وسار على رأس جيشه إلى بلاد الشام، وتوغل فيها، وغنم مغانم كثيرة، ثم عاد فتوغل في العام التالي، وهنا طلب الإمبراطور البيزنطي جستنيان (527-565 م) المساعدة من الحارث بن جبلة أمير الغساسنة، وزج به في حرب مع مملكة الحيرة اللخمية، وعلى الرغم من انتهاء الحرب بين الفرس والروم وعقد الصلح في سنة 532 م، إلا أن عدوى الحرب بين الإمبراطوريتين انتقلت إلى المملكتين العربيتين، فدارت بين المناذرة والغساسنة عدة حروب وأيام، لم تنته إلا بمقتل المنذر بن ماء السماء وابنه المنذر في وقعتي عين أباغ ومرج حليمة في سنة 554 م، كما سبق الذكر.⁽¹⁾

تولى عمرو بن هند مملكة الحيرة بعد مقتل أبيه المنذر الثاني في سنة 554 م، وعلى الرغم من المكانة العالية التي أضحت للحيرة في عهده، إلا أن غروره وجبروته، جر عليه سوء العاقبة، فلقى مصرعه على يدي عمرو بن كلثوم

(1) المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص 353، 359؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج1، ص 617؛ ج2، ص 61؛ جورج زيدان: العرب قبل الإسلام، (بيروت: 1968)، ص 213.

التغلبى سنة 569 م، وضعف المناذرة بعد مقتله، بسبب الخلاف بين أمراءهم على ولاية العرش، وتدخل الفرس، فاخاروا النعمان بن المنذر، المعروف بأبي قابوس، ملكاً على الحيرة في سنة 580 م، ولم يستتب له الأمر، بسبب أن أخيه الأسود لم يرض عن تولية أخيه مقاليد الأمور في المملكة، ولم يكد ينتهي من دسائسه حتى دخل في صراع مع الفرس، انتهى بسجنه حتى وفاته، ثم ولي إياس بن قبيصة الطائي عرش الحيرة، ودارت بين الفرس والعرب معركة شديدة عرفت بوقعة (ذي قار)، انتهت بهزيمة الفرس، وانتصر فيها العرب انتصاراً مؤزراً، وهنا آل حكم الحيرة إلى المنذر بن النعمان أبي قابوس الملقب بالمغرور في سنة 628 م، وظلت أمور الحيرة مضطربة حتى تم فتحها في سنة 633 م، على يدي خالد بن الوليد، وأشرقت عليها شمس الإسلام.⁽¹⁾

(2) مملكة الغساسنة: يرجع أصل الغساسنة إلى قبائل الأزد التي هاجرت من اليمن بعد سيل العرم وانهيار سد مأرب، واستقرت إلى جوار ماء اسمه غسان في تهامة، نسبت إليه، ويبدأ عهدهم في بلاد الشام بالاصطدام بالزجاجمة، من قضاة، وكان النصر حليف الغساسنة، وهنا أقاموا مملكة لهم في أرض حوران والبلقاء والجولان، واتخذوا من بصرى عاصمة لهم، وتحالفوا مع الروم، كما تحالف أبناء عمومته المناذرة مع الفرس. يُحيط الغموض بملوك الغساسنة، وترتيب توليهم المملكة، ومن ثم اختلف المؤرخون في عدد ملوكهم، وفي مدة حكمهم، فقيل 32 ملكاً، حكموا نحو ستمئة عام، وقيل 30 ملكاً، بينما يذكر المسعودي وابن قتيبة أنهم كانوا

(1) ابن خلدون: البداية والنهاية، ج3، ص218؛ الأصفهاني: الأغاني، ج9، ص175؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص194 - 196، 206، 210، 364؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج1، ص287، 288، 290، 293.

أحد عشر ملكاً فقط.⁽¹⁾ وكان أول ملوكهم هو جفنة بن عمرو بن عمرو بن مزقياء، وخلفه ابنه عمرو، ثم ثعلبة بن عمرو، ثم ابنه الحارث، ثم جبلة، الذي قام بغزو فلسطين في سنة 500 م. وخلفه ابنه الحارث الثاني، أعظم ملوكهم، إذ تولى عرش المملكة أكثر من 40 سنة (528-569 م)، وأقام علاقات وطيدة مع الروم، واشترك في حروبهم مع فارس، واشترك مع الجيش البيزنطي في إخماد ثورة السامريين في فلسطين سنة 529 م، ثم دخل في صراع مع المناذرة، انتهى بأسر أحد أبنائه، فقدمه المنذر بن ماء السماء قرباناً للصنم العزى، وهنا ثارت ثائرة الحارث بن جبلة الغساني، فتأرلأبنة في وقعتي عين أباغ ومرج حليلة في سنة 554 م، حيث هزم المناذرة وقتل ملكهم.⁽²⁾

خلف الحارث ابنه المنذر، الذي بدأ عهده بغارة المناذرة على أرضه، في سنة 570 م، ولكنه تمكن من إيقاع الهزيمة بهم، ولكن ساءت علاقاته مع الروم، فقبض عليه البطررك (ماكنوس)، مستغلاً فرصة الاحتفال ببناء كنيسة حوارين، وأرسله إلى القسطنطينية مع إحدى نساؤه وبعض أولاده، وبقي هناك إلى أن تولى البطريرق (ماكنوس) عرش الإمبراطورية، فنفاه إلى صقلية، حيث توفى هناك في نفس العام.⁽³⁾ ولم يكتف بذلك بل أمر بقطع الإعانة التي كانت الإمبراطورية ترسلها للغساسنة في كل عام، فتأرلأبناء المنذر، وتحصنوا بالبادية، وشنوا الغارات على حدود الإمبراطورية، بقيادة أخيهما الأكبر النعمان بن المنذر، وبالخداع ألقى الحاكم البيزنطي لبلاد الشام القبض عليه، وأرسله أسيراً إلى عاصمة الإمبراطورية في سنة 584 م،

(1) المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص365؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: كتاب المعارف، (القاهرة: دار المعارف، 1986)، ص642.

(2) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، ص130؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج1، ص326.

(3) فيليب حتى وإدوارد جورج: تاريخ العرب، (بيروت: 1961)، ج1، ص105.

وهنا تصدع ملك الغساسنة، وانقسم أمراؤهم على أنفسهم، فتمزقت وحدتهم، وسادت الفوضى في أرجاء بلاد الشام، وظهر الحارث الأصغر بن أبي شمر الغساني، الذي استعاد ملك الغساسنة، وخلفه ابنه النعمان، ثم كان آخر ملوكهم وهو جبلة بن الأيهم، الذي اشترك مع الروم في واقعة اليرموك في سنة 636 م، والتي أحرز فيها المسلمون نصراً مؤزرًا.⁽¹⁾

وهكذا حاول الفرس والبيزنطيون إنشاء ممالك صديقة تلعب دور (الدول الحاجزة) بين الإمبراطوريتين الكبيرتين، وتفصلهما عن العرب، وكانتا حريصتين على أن يستتب فيها الهدوء والسلام، وتكون قوية بحيث تستطيع رد الغزوات. ونتيجة لهذه الفكرة قامت في صحراء سورية الفاصلة بين الفرس والروم مملكتان، الأولى عربية رومانية هي دولة الغساسنة، وعاصمتها حرته بالسريانية، وتعني (معسكر)، وعرفت بالعربية (الحيرة). والثانية عربية فارسية هي دولة اللخمين.

الغساسنة قبيلة مهاجرة من جنوب الجزيرة العربية، جدهم هو (جفنة)، ويدعى أيضاً (ثعلبة)، وهم عرب سورية، الذين هاجروا من اليمن، وارتبطوا بالإمبراطورية الرومانية منذ القرن الرابع الميلادي. ولم تكن دولة الغساسنة مملكة بمعنى الكلمة، وكانت في حالة حرب دائمة مع مملكة اللخمين، وتاريخهم غامض، والمعلومات الأكيدة عنهم منذ القرن السادس الميلادي فقط.

تبدأ قائمة أمراء هذه المملكة، كما سبق الذكر، بأبي شمر جبلة، الذي حكم حوالي سنة 500 م، تقريباً. وتنتهي بجبلة بن الأيهم، الذي حكم حوالي سنة 635 م.

(1) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، ص152؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص178.

ويستفاد من أخبار العرب أن بني (جفنة) استولوا على الحكم في سورية بعد أن انتصروا على الضجاعة من قبائل سليح. ويذكر المؤرخون أن أول أمير جاء بالفساسنة إلى سورية هو ثعلبة بن عمرو، إلا أن أول أمراء الفساسنة، وأعظمهم شأنًا هو الحارث بن جبلة، كما سبق الذكر، إذ رفاه الإمبراطور البيزنطي جستنيان (527-565 م) إلى رتبة ملك، وبسط سلطته على عدد من القبائل العربية؛ بهدف إقامة خصم قوي للخميين، الذين كانوا يتمتعون بحماية الفرس.

تشير الوثائق الرومانية إلى أن الحارث بن جبلة حمل لقب بطرك فقط، ويرى نولدكه⁽¹⁾ أنه كان لقباً سامياً جداً، فرتبة البطارقة أرقى من رتبة القناصل، وعلاقتهم بالقيصر تشبه علاقة الكرادلة بالبابا. ومنذ العقد الثالث من القرن السادس الميلادي وقعت بين الحارث أمير الفساسنة، والمنذر أمير اللخمين في الحيرة، سلسلة من الحروب، لم تنته كما سبق الذكر، إلا بانتصار الحارث انتصاراً حاسماً في سنة 554 م، في معركة بالقرب من قنسرين تعرف (بيوم حليلة)، وقتل فيها المنذر الحيري. وقد تأثر الفساسنة باعترافهم المسيحية الدين الرسمي في سورية في القرن السادس الميلادي، وبالتالي ضعف تمكنهم من اللغة العربية فأصبحوا غرباء بالنسبة للغتهم القديمة، فلم يكونوا يتكلمون إلا لغة عربية ركيكة تمتاز فيها التعبيرات السورية.⁽²⁾

(3) مملكة كندة: إحدى الممالك التي تأسست على أيدي قبيلة كندة، إحدى القبائل القحطانية، التي تنسب إلى ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن

(1) تيودور نولدكه: أمراء غسان، قسطنطين رزيق (ترجمة)، (بيروت: 1933)، ص 32، 33.

(2) سليم: معالم تاريخ العرب، ص 187 - 194.

مرة، الملقب بكندة، وهو من نسل كهلان⁽¹⁾ وكانت مساكنها في جبال اليمن الشرقية مما يلي حضرموت، واتخذت من مدينة (دمون) حاضرة لها.⁽²⁾ كان قيام مملكة كندة على يدي ملك حضرموت، حسان بن تُبع، الذي قام بعدة حملات في بلاد العرب، وأخضع القبائل العربية التي تنزل في وسط الجزيرة العربية، ثم ولى أخاه لأمه (حجر بن عمرو أكل المرار) على تلك القبائل، بعد أن ساعد الملك الحضرموتي في حملاته، وبذلك قامت مملكة كندة في وسط الجزيرة العربية في القرن الخامس الميلادي؛ متأخرة عن مملكتي الحيرة والفساسنة، ودانت بالتبعية للملوك اليمن، مثلما كانت المملكتان الشماليتان تدينان بالتبعية للفرس والروم.

وكان حجر بن عمرو أكل المرار هو أول ملوك كندة، إذ وحد صفوف المملكة، ووسع رقعة أراضيها بعد تغلبه على القبائل الشمالية المجاورة في نجد وبلاد بكر بن وائل، وصارت له السيطرة على وادي الرمة بين مكة والبصرة. وخلفه ابنه عمرو بن حجر، وتزوج من إحدى بنات حسان بن تُبع، أحد ملوك اليمن، وولي ابنه الحارث عرش المملكة بعد مقتل أبيه، وساعده خاله تُبع بن حسان، ومن ثم كان الحارث أقوى ملوك كندة، وأشدهم بأساً، وأعظمهم شأنًا، إذ حقق للمملكة الكثير من الانتصارات، وتوطد نفوذه، وأقام أبناءه ملوكاً على القبائل العربية التي خضعت له، إلا أن الفوضى دبّت في مملكة كندة بعد موته، وتشتت شمل أمرائها، وانفصمت عرى وحدتهم، ودب الشقاق بينهم، وجمع كل واحد منهم لأخيه، وبرز امرؤ القيس، الذي عجز عن استرداد ملك آبائه، إلى أن هاجرت العشائر والبطون الكندية إلى

(1) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، عبد السلام محمد هارون (تحقيق)، (القاهرة: دار المعارف، 1962)، ص 419، 485.

(2) الحموي: معجم البلدان، ج 2، ص 472.

أوطانها الأصلية في الجنوب، وأسسوا في حضرموت إمارة بزعامة قيس بن معد يكرب، وتولاه من بعده ابنه الأشعث، الذي سار على رأس وفد يتألف من ستين رجلاً من أشرف كندة إلى المدينة المنورة، حيث التقى وأصحابه بالرسول، صلى الله عليه وسلم، وأعلنوا إسلامهم.⁽¹⁾

رابعاً: الدويلات العربية الجنوبية

(1) دولة معين (1300-650 ق. م): يرجع أصل المعينيين إلى عمالقة العراق، ولما ضاقت بهم سبل العيش بظهور دولة حمورابي، هاجروا إلى جزيرة العرب، واستقر مقامهم في منطقة الجوف بين نجران وحضرموت، واتخذوا من (قرناو) عاصمة لهم، وقامت دولتهم في معين، وهو حصن باليمن.⁽²⁾ وإليه ينتسبون، وأسسوا حضارة زراعية تجارية.

دلت الاكتشافات الأثرية أن ملوك هذه المملكة بلغوا 26 ملكاً، ما يدل على أن الحكم فيها كان وراثياً ينتقل من الأب إلى الابن أو الأخ، وكان يمثل الملك في كل مقاطعة نائب، يلقب (كبير)، يتبعه مجلس نيابي يعرف باسم (سور)، يجتمع فيه الكبراء للحكم بين الناس، ويقررون الضرائب، ويعلنون الحروب والاتفاقيات والمعاهدات، وبجانب ذلك توجد حامية عسكرية تتبع نائب الملك. وقد اشتهرت هذه الدولة بقصور ملوكها، التي كانت تعرف بـ(المحafd)، وتتألف من بناء ضخم تحيط به الأسوار العظيمة. وتدل النقوش المصرية القديمة والكتابات اليونانية على وجود علاقات تجارية بين الدولة المعينية ومصر الفرعونية ودويلات المدن اليونانية.⁽³⁾

(1) سليم: معالم تاريخ العرب، ص 195 - 202؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص 92، 93؛ الأصفهاني: الأغاني، ج9، ص 82، 103؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص 203، 204.

(2) الحموي: معجم البلدان، ج5، ص 160.

(3) سليم: معالم تاريخ العرب، ص 69 - 73؛ جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص 397، 398.

(2) دولة حضرموت (1020 ق.م-290 م): قامت في جنوب بلاد العرب إلى الشرق من اليمن على ساحل العرب، في منطقة تحيط بها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وتشتهر بمدن (تريم)، و(شبام) و(شبوّة)، ويرجع اسم حضرموت إلى حضرموت بن قحطان، الذي نزل هذا المكان، فيه سمي⁽¹⁾ وقد قامت دولة حضرموت على البناء، إذ شيد ملوكها التحصينات والقلاع والقرى والأسوار والأبراج العالية.

ارتبطت دولة حضرموت بمملكة سبأ بعلاقات ودية، إذ زار (شبوّة) عاصمة الدولة الحضرمية ملوك سبأ، وتردد عليها تجارها، وتدل الآثار المكتشفة على أن حضارة حضرموت قامت على الزراعة، إذ توجد بقايا سدود وقنوات، كما ارتبطت عبر مدينة (قنا) التي تقع إلى الشرق من عدن، وكانت بمثابة الميناء التجاري الرئيسي لمملكة حضرموت، ما جعل ملوك حضرموت يهتمون بها اهتماماً كبيراً، فأقاموا فيها حصناً كبيراً بني حوله سور من الحجارة والصخر والخشب، يرجع اكتشافه للرحالة البريطاني جيمس ريموند ولستد في عام 1834، والمعروف بحصن الغراب⁽²⁾.

(3) مملكة قتيان (القرن 9-1 ق.م): يختلف المؤرخون في تعيين تاريخ بداية ظهور الكيان السياسي لمملكة قتيان، وأرخوا لها ما بين منتصف القرن التاسع قبل الميلاد، وبين القرن السابع قبل الميلاد، وقد استمر هذا الكيان بالوجود حتى منتصف القرن الأول قبل الميلاد. ومرت الدولة القتيانية عبر هذا التاريخ الطويل بمراحل متعددة من القوة والضعف، وتبدل في الألقاب الملكية.

(1) الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 270؛ البكري: معجم ما استعجم، ج2، ص 455.

(2) سليم: معالم تاريخ العرب، ص 74 - 77؛ جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، ص 132 - 135، 147، 162؛ جيمس هنري ويلستيد: رحلات في الجزيرة العربية، ج2، محمد درويش (ترجمة)، أحمد عبدالرحمن السقايف (تقديم ومراجعة)، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث والمجمع الثقافي، 2009).

قامت مملكة قتيان في غرب اليمن، وكان بينها وبين البحر مملكة أوسان الصغيرة، وكانت عاصمة مملكة قتيان مدينة (تمنع)، ومن أشهر مدنها مدينة (شقرة) على ساحل المحيط الهندي. وقد قام ملوكها بأعمال إنشائية وعمرانية كثيرة، لا تزال بقاياها شاهدة على عظمة هذه المملكة، وكان نظامها ملكياً وراثياً، يعاون الملك مجلس المملكة المعروف باسم (المزود)، والذي يتألف من رؤساء المدن والقبائل، وكانت مهمته وضع التشريعات القانونية لرعايا المملكة، ثم عرضها على الملك لإقرارها، والأمر بتنفيذها.⁽¹⁾

تمتع كهنة المعابد في ظل هذه الدولة بالكثير من الامتيازات، إذ منحوا حق استغلال أراضي الدولة، وفرضوا على القبائل ضريبة بلغت عُشر دخلها تقدم لمعابد الآلهة كهبة، وتشير الشواهد الأثرية إلى أن ملوك قتيان قد شيّدوا نحو 65 معبداً في العاصمة (تمنع)، التي كانت من أكبر المدن العربية الجنوبية. وتدل آثار هذه المملكة على الاهتمام الذي حظيت به الزراعة، فقد كشفت الحفائر عن شبكة كبيرة من السدود والقنوات، وصهاريج تخزين المياه، مما يدل على انتشار البساتين الياضعة بها.⁽²⁾ وكان الرحالة النمساوي إدوارد جلازر Eduard Glaser أول من استنسخ نقوشاً لها علاقة بهذه المملكة، وذلك في أثناء زيارته لليمن بين عامي (1882-1894).⁽³⁾

(4) دولة سبأ (950-115 ق. م): تأسست في منطقة وسطى بين معين في الشمال، وعتبان في الجنوب، ومن شهرة هذه الدولة في التجارة، كان لفظ (سبئي) يُطلق بصفة عامة على جميع تجار العرب، وقد اتخذوا من

(1) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، ص 171، 172، 189، 193.

(2) سليم: معالم تاريخ العرب، ص 78 - 82.

(3) Sammlung Eduard Glaser: Eduard Glasers Reise Nach Marib, (Wien: Alfred Holder, 1913),

Eduard Glaser: skizze Geschichte und Geographie Arabiens, (Berlin: Weidmannsche Buchhandlung, 1890).

(صرواح)، غربي مأرب، عاصمة لهم. وتنسب هذه الدولة إلى عبدشمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان الملقب بسبأ. لأنه كان أول من سبى من العرب، ومن أشهر أبنائه حمير وكهلان، اللذان يرجع إليهما نسب القبائل العربية الجنوبية.⁽¹⁾

وقد بلغت مملكة سبأ درجة عالية من الرقي والازدهار، وامتد نفوذها إلى الجهات الشمالية المتاخمة لحدود تيماء ومعان والعلما، وسيطرت على الطرق التجارية التي تربط جنوب الجزيرة العربية ببادية الشام وبادية سيناء ومصر، وقد حكمتها في القرن العاشر قبل الميلاد ملكة، تشير آيات القرآن الكريم إلى تمتعها بحكومة قوية ومجلس شورى يُعرف باسم (الملأ). قال تعالى: (قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم) (سورة النمل: الآية 29). ويتفق المؤرخون على تقسيم العصر السبئي إلى مرحلتين، وذلك طبقاً للألقاب التي اتخذها ملوك هذه الدولة، ووجدت على النقوش الأثرية المكتشفة. امتدت الفترة الأولى من حياة دولة سبأ ما بين عامي (950-650 ق.م)، وكان لقب الملك في تلك الحقبة (مكرب سبأ)، وهو لقب تغلب عليه الصبغة الدينية، ويدل على القداسة، وعثر في النصوص على نحو 17 ملكاً لقبوا بهذا اللقب، ومنهم ملكة سبأ التي ورد ذكرها في القرآن الكريم. أما الفترة الثانية (650-115 ق.م) فقد تميزت باتخاذ ملوك سبأ لقب (ملك)، ومن ثم التجرد من الصفة الدينية، وقد حدث هذا التحول في عهد (كرب إيل وتار)، الذي تخلى عن لقب (مكرب) في أواخر عهده، واتخذ لقب (ملك سبأ) بعد أن نقل عاصمته من صرواح إلى مأرب.⁽²⁾

(1) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج1، ص211؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج2، ص158؛ ابن قتيبة: كتاب المعارف، ص271.

(2) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، ص307، 182، 286، 288، 289، 295، 322؛ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، (القاهرة: 1963)، ص162، 165، 166.

قامت حضارة سبأ على التجارة والزراعة، وتميزت واشتهرت بسدودها، إذ اهتم خلفاء الملك (كرب إيل وتار) بتحسين العاصمة، وإنشاء المعابد الدينية، إذ إن ملوك سبأ على الرغم من تخليهم عن الألقاب ذات الصبغة الدينية، فإن علاقتهم بالآلهة كانت على جانب من التوقير والاحترام. وقد انهارت هذه المملكة؛ نتيجة تصدع سد مأرب، الذي كان يُعتبر السبب الرئيس في رخائهم وتقدم بلادهم، ذلك أنهم بغوا في الأرض، وأكثروا فيها الفساد من كثرة النعم، ونسوا أن الله عز وجل هو واهب النعم والخير الكثير، فأرسل الله عليهم سيل العرم، الذي أدى إلى تهدم السد، ومن ثم حل الخراب بأراضي المملكة.⁽¹⁾ قال تعالى: (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيءٍ من سدرٍ قليلٍ) (سورة سبأ، الآية 16).

(5) دولة حمير (115 ق. م - 525 م): تقع بلاد حمير بين منقطة نفوذ مملكة سبأ في موضع يُسمى (ريدان)، وقد ازدهرت هذه الدولة وقويت شوكتها في الوقت الذي تصدع فيه سد مأرب، فتغلب الحميريون على السبئيين، ولقب ملوك حمير (ملك سبأ وذو ريدان)، وبذلك قامت دولة حمير على أنقاض مملكة سبأ في عام 115 ق. م، واتخذ ملوكهم من (ظفار) عاصمة لهم. وتُنسب دولة حمير إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.⁽²⁾

يُقسّم المؤرخون تاريخ مملكة حمير إلى مرحلتين زمنيّتين، طبقاً للقب ملوكها، امتدت دولة حمير الأولى من قيام الدولة حتى سنة 300م، واتخذ ملوكها لقب (ملك سبأ وذو ريدان)، أما دولة حمير الثانية، فقد تلبق ملوكها بـ(ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات)، وذلك بعد تغلب حمير على حضرموت.⁽³⁾

(1) سليم: معالم تاريخ العرب، ص 83 - 119؛ جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 2، ص 327، 329.

(2) ابن قتيبة: كتاب المعارف، ص 271؛ ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، ص 329.

(3) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 1، ص 489؛ جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 2، ص 423.

وكان لموقع اليمن الجيوستراتيجي المميز في الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية، أثرٌ كبيرٌ في توجيه أنظار أباطرة الروم وكياسرة الفرس، ونجاشيو الحبشة لأجل احتلالها، والسيطرة على خيراتها الزراعية والتجارية، والتي جعلتها تُعرف بالعربية السعيدة، فقد اتخذ الرومان من نشر المسيحية وسيلة لتحقيق أغراضهم في مد النموذ الروماني على بلاد العرب الجنوبية، فأرسلوا رهبانهم في بعثات تنصيرية، كما عرفت اليهودية طريقها إلى اليمن منذ تدمير القدس على يد تيتوس سنة 70م. ويروى أن آخر ملوك دولة حمير (ذا نواس) (450-523 م) كان يهودياً، ومن ثم وقف في وجه رهبان المسيحية، وتصدى لمحاولاتهم تنصير رعاياه. ولما رأى الأحباش، الذين كانوا يدينون بالمسيحية، وصارت بلادهم ولاية رومانية مسيحية، أن بعثات التنصير لم تؤت ثمارها، عمدوا إلى التدخل العسكري، فأغاروا على اليمن، وانتصروا على ذي نواس، وكان انتقام هذا الملك الحميري من النصارى شديداً، إذ يروي الإخباريون أنه قتل نصارى نجران الذين رفضوا الدخول بالديانة اليهودية، بأن أمر بشق أخدود في الأرض، وأحضر وقوداً وخطباً ثم أشعلوا النار، وأخذوا النصارى مقيدين يلقونهم في لهيبها، ولم يعف عن شيخ، ولا امرأة عجوز، ولا طفل رضيع، حتى خلت نجران من النصارى، ولم يبق بها غير اليهود.⁽¹⁾ قال تعالى: (قتل أصحاب الأخدود، النار ذات الوقود، إذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود، وما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد). (سورة البروج، الآيات 4-8).

ولما أدرك الفرس أغراض الرومان السياسية والاقتصادية من نشر المسيحية في اليمن، وجهوا اهتمامهم إلى تجارة الروم، الذين كانوا يمرون باليمن في طريقهم للتبادل التجاري مع الهند، فسعوا للسيطرة على الخليج

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج2، ص 129 - 131؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج1، ص 252.

(العربي)، ووضعوا حاميات عسكرية في جزر أوال (البحرين)، وشجعوا الحميريين على اعتناق اليهودية، واستغل إمبراطور الروم حادثة تنكيل الحميريين بأهل نجران، سابقة الذكر، ذريعة للتدخل في اليمن، فكتب الإمبراطور البيزنطي، جستين الأول (518-527) إلى نجاشي الحبشة يطلب منه غزو اليمن، والقضاء على ذي نواس، عدو المسيحية الأول، فكانت حملة الحبشة، والتي مكنت النجاشي أبرهة من فرض سيادته على اليمن سنة 525 م، ثم اتخذ من نجران مركزاً لنشر المسيحية في بلاد العرب الجنوبية، ولما رأى إعراض العرب عن كنيسته (القليس)، التي جهزها في صنعاء لاستقبال وفود الحجاج العرب، حتى يصرفهم عن البيت العتيق بمكة المكرمة، إلا أن العرب لم يتقبلوا ذلك، وواصلوا حجهم إلى بيت الله العتيق في مكة المكرمة، فكانت حملته فيما عُرف بعام الفيل، التي أراد بها هدم الكعبة المشرفة، وبموت أبرهة، وفشل حملته على مكة المكرمة، نجح سيف بن ذي يزن (516-574 م) في أن يستعين بالروم والفرس، وأن يستعيد ملك آبائه وأجداده، إلا أنه أدى الخراج للإمبراطورية الفارسية، إذ كانت المساعدات التي تلقاها من كسرى فارس سبباً في أن أصبحت اليمن منذئذ ولاية فارسية، وتعاقب على اليمن ولاية من قبل كسرى، حتى كان آخرهم (باذان) الذي اعتنق الإسلام. ومن ثم أصبحت اليمن ولاية إسلامية.⁽¹⁾

خامساً: الحياة السياسية في مدن الحجاز

يضم غرب شبه الجزيرة العربية عدداً من الحواضر، التي كانت لها أهمية في تاريخ وحضارة العرب قبل الإسلام، أهمها (مكة)، وتعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد، وذكرها بطليموس في جغرافيته باسم (مكورابا

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج2، ص 177، 178؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص 130، 140 - 143؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج1، ص 260، 263.

(Macoraba). وقبل الإسلام أصبحت مدينة متمتزة فيها العقائد الدينية بالمصالح التجارية. ومن مدن غرب شبه الجزيرة العربية كذلك مدينة (يثرب)، وتقع شمال مكة، ويرد أول ذكر لها في نقش حران، الذي يعود للقرن السادس قبل الميلاد، ووردت في جغرافية بطليموس باسم (لثربا Lathrippa). أما الطائف فتقع جنوب شرقي مكة، ولم ترد في النصوص القديمة أو النقوش، لذلك تاريخها القديم غير معروف، وكان أهل الطائف حضراً يشتغلون بالزراعة، والداغة والتجارة والحدادة. وكانت تجارتهم مع الشام واليمن.⁽¹⁾

(1) مكة المكرمة: تقع مكة المكرمة على أهم طرق القوافل التجارية قبل الإسلام بين اليمن وبلاد الشام، ويرى مؤرخو العرب أن تسمية مكة جاءت من أنها (تمك الجبارين)، أي تذهب نخوتهم. بينما يرى المستشرق كارل بروكلمان أنها مشتقة من اللغة العربية الجنوبية، وتعني (بيت الرب).⁽²⁾ تُعرف مكة بعدة أسماء أخرى منها: بكة، أم القرى، البلد الأمين، الحاطمة، وغيرها. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حب وشرف مكانتها: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ» (رواه الترمذي).

ترجع أقدم النصوص التي ذكرت مكة المكرمة إلى القرن الثاني الميلادي، طبقاً لرواية الجغرافي اليوناني بطليموس، التي وصف فيها (ماكورابا: مكة المكرمة)، وكان تعمير مكة المكرمة على أيدي نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل، عليهما السلام، حينما قدم إبراهيم وبصحبته زوجته هاجر

(1) أحمد عمر الزيامي: مكة وعلاقتها الخارجية 301 - 487هـ، (الرياض: عمادة شؤون المكتبات جامعة الرياض، 1981)، ص 185 - 188؛ عبدالسلام هاشم حافظ: المدينة المنورة في التاريخ، (المدينة المنورة: نادي المدينة المنورة الأدبي، 1982)، ص 27 - 32.

(2) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نبيه أمين فارس ومنيير البعلبكي (ترجمة)، (بيروت: دار العلم للملايين، 1968)، ص 31.

وولده إسماعيل من فلسطين إلى مكة المكرمة، وأسكنهما في تلك البقعة المباركة، بوادٍ غير ذي زرع، وتفجر بئر زمزم، فقدمت قبائل جرهم اليمنية مهاجرة من الجنوب، فنزلت مكة المكرمة، وعاشت في كنف بئر زمزم والبيت العتيق، ولما شب إسماعيل تزوج منهم، وأنجب 12 ولداً، وظل وبنوه يقومون على خدمة البيت الحرام، فلما انتقل إلى جوار ربه تولت جرهم مع أبنائه خدمة البيت العتيق، وكانت مكة كما يقول الحموي: «أهلها آمنون، يغزون الناس ولا يُغزون، ويسبون ولا يُسبون».⁽¹⁾

توالى توافد القبائل العربية على مكة المكرمة، فقدمت قبيلة خزاعة، إحدى قبائل الأزدي اليمنية، التي هاجرت على إثر تدهم سد مأرب، فتنازعت جرهم على خدمة البيت الحرام، ونشب بينهما قتال انتهى بانتصار خزاعة، واستيلائها على البيت العتيق، وتوارثته حتى تطلع قصي بن كلاب القرشي للإشراف على شؤون البيت الحرام، فدخل في صراع مع خزاعة. وانضمت قريش وكنانة وقضاعة إلى قصي، ولكن تداعى الفريقان للصلح بعد قتال شديد، وقضى بينهما أحد حكماء العرب بأن قصباً وقومه أولى بحجابه الكعبة، فصار قصي ملكاً على قومه وأهل بيته، وعلا شأن قبيلته قريش في مكة وبين سائر العرب. ولما استقرت الأمور لقصي بن كلاب في مكة بنى داراً ملاصقة للبيت الحرام، عُرفت بدار الندوة، كان يجتمع فيها شيوخ القوم ورؤساء العشائر للتشاور في الأمور المهمة، وفيها كانت تعقد قريش لواء الحرب، وتخرج منها وتعود إليها القوافل التجارية في رحلتها الشتاء والصيف. واهتم قصي بخدمة البيت الحرام وعمارته، فقام بترميم الكعبة، وأقام لها سقفاً من الخشب وجريد النخيل، وعين لخدمة

(1) الحموي: معجم البلدان، ج5، ص183؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج1، ص193؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج1، ص314.

البيت وظائف الحجابة والسدانة والسقاية والرفادة، وجلب الأصنام التي يستحسنها العرب، وأقامها حول الكعبة تكريماً لهم.⁽¹⁾

وبالإضافة لوظائف خدمة الكعبة والحجيج، كانت هناك وظيفة اللواء والقيادة، ووظيفة العمارة، وهي مراعاة الآداب والوقار في البيت الحرام، ووظيفة المشورة، التي يقوم صاحبها بتنظيم الأمور والمسائل قبل عرضها على مجلس دار الندوة، ووظيفة الأشناق، وهي جمع الأموال الخاصة بالديار والمغارم وأدائها، ووظيفة السفارة والاتصال بالقبائل الأخرى بشأن الخصومات والمفاوضات، فضلاً عن وظيفة القيام على القبة، وهي الخيمة التي تجمع فيها الأسلحة، والأعنة وهي الاهتمام بالخيول، والأيسار وهي الأزام التي يضرب بها عند هبل كبير الأصنام في جوف الكعبة. وقد بقيت هذه الوظائف تتوارثها البطون والعشائر القرشية حتى فتح مكة، فألغاهما الرسول صلى الله عليه وسلم، عدا وظيفتي السقاية والحجابة.

شعر قصي بن كلاب بدنو أجله، فعهد بالأمر لابنه الأكبر عبدالدار، الذي ظل يلي مكة طوال حياته، فلما تولى دب النزاع بين بني عبدمناف، وبين أبناء عمهم عبدالدار، وأدى ذلك إلى انقسام قريش ببطونها وعشائرها إلى طائفتين كبيرتين، عقدت كل طائفة فيما بينها حلفاً، فعقد بنو عبدالدار ومن انضم إليهم حلف الأحلاف، وعقد بنو عبدمناف حلفاً مماثلاً أطلقوا عليه حلف المطيبين، ولم يستمر النزاع بينهما طويلاً، إذ ما لبث أن تم الصلح بينهما، واتفقوا على أن يلي عبدمناف أمر السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء ورئاسة دار الندوة لبني عبدالدار. وتولى الرفادة والسقاية هاشم بن عبدمناف، ثم أخوه المطلب بن عبدمناف، ثم ابن أخيه عبدالمطلب بن هاشم، وتعرضت مكة المكرمة في أيامه لتحط شديد وندرة

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج2، ص 187؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص 16، 18.

في المياه، فاشتهر بين قومه بإعادة حفر بئر زمزم، التي كانت قد طُمست أواخر أيام جرهم، ثم ولي العباس بن عبد المطلب أمر السقاية والرفادة بعد أبيه، ولم يزل يتولاها حتى فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة في العام الثامن للهجرة، فأبقاهما في يده.⁽¹⁾

(2) يثرب (المدينة المنورة): تقع يثرب (المدينة المنورة) على بعد ثلاثمئة ميل شمال مكة المكرمة، وأرضها خصبة تكثر بها العيون والآبار، وتحيط بها الوديان والجبال من جهاتها الأربع، ولذلك فهي غنية بالأنخيل والأشجار والزرع، فضلاً عن طيب جوها واعتدال مناخها.

تعتبر مدينة يثرب من أقدم المدن التي عمرها الإنسان، فقد ورد ذكرها في النصوص البابلية التي ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، كما ذكرها بطليموس الجغرافي في جغرافيته باسم (Lathrippa)، كما عرفت عند قدماء المستشرقين اليهود باسم (ميدنتا Medinta). يرى المؤرخون أن الاسم ينسب إلى يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عيبيل بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وهو أول من نزل المدينة من العماليق،⁽²⁾ وقد ذكرت في القرآن الكريم (المدينة)، قال تعالى: (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق)، (سورة التوبة: الآية 101)، (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب) (سورة التوبة: الآية 120)، وسميت بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها بالمدينة المنورة.

كانت قبائل العماليق هم أول من سكن يثرب، ويرجع نسبهم إلى عمليق بن أرفخشذ بن سام بن نوح، ثم قدم إليها الأوس والخزرج مهاجرين من جنوب الجزيرة العربية، وظلت قبائلها وعشائرها وبطونها تعيش في سلام

(1) سليم: معالم تاريخ العرب، ص 120 - 135؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 2، ص 248، 249.

(2) الحموي: معجم البلدان، ج 5، ص 430؛ جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 4، ص 130.

وأمان فيما بينها حتى قدم عليهم اليهود في القرنين الأول والثاني الميلاديين مهاجرين هرباً من اضطهاد الرومان، فاختلطوا بالعرب المقيمين في يثرب، وعاشوا بينهم وتأثروا بهم، واتخذ كثير منهم أسماء عربية، ولكنهم أقاموا في أحياء خاصة بهم، وكان أشهرهم بنو قريظة، بنو قتيقاع، بنو النضير.

عمل اليهود في التجارة، فقويت شوكتهم، وقاموا ببناء الحصون والقلاع القوية في يثرب لتأمين حياتهم، وزاد عددهم وتضخمت ثرواتهم، فلما حل الأوس والخزرج مهاجرين من بلاد اليمن على إثر حادث سيل العرم وانهيار سد مأرب، نزلوا إلى جوار اليهود، وعاشوا معهم في وفاق ووثام، وتعاهدوا على الحماية المتبادلة والدفاع المشترك، فلما ازدادت قوة الأوس والخزرج، ورأى اليهود حالهم، خافوا أن يغلبوهم على دورهم وأموالهم، فتنمروا لهما حتى قطعوا الحلف بينهما، فلما استبد اليهود بالأوس والخزرج، استنجدوا بالعباسنة، الذين يرتبطون بهم برابطة الخؤولة، فلبوا نجاتهم، ثم رجعوا إلى الشام بعد أن جعلوا الأوس والخزرج أعز أهل المدينة، وقامت العلاقة بينهما على الود والوفاق، ثم وقعت بينهم حروب طويلة، كان أولها حرب سمير، وأخرها حرب بعثت قبل الهجرة النبوية بخمس سنوات.⁽¹⁾

وترجع أسباب الحروب بين الأوس والخزرج إلى التنافس القبلي بينهما على السيادة في يثرب، إذ رأى الخزرج أنهم أصحاب الانتصار على اليهود وإعلاء شأن العرب، بينما رأى الأوس أن ثروتهم وأملاكهم تعطيتهم الأهمية في أن تكون لهم المنزلة العليا والسيادة في يثرب، وتحالف الأوس مع بني قريظة وبني النضير اليهود، الذين لعبوا دوراً في إذكاء روح التحاسد والتباغض بين الحيين، وانتهى الأمر باشتعال أتون الحروب بينهما، والتي استمرت حتى يوم بعثت، الذي انتهى بالتصالح بين الأوس والخزرج، بعد

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 1، ص 402 - 418.

أن ذاقوا مرارة الحرب وويلاتها، وأدركوا أن السلام هو الطريق الوحيد إلى الاستقرار والأمن، فاجتمعوا على الوفاق والوئام، ثم اتفقت كلمتهم على الدخول في الدين الإسلامي أفواجاً، واتحدوا وتعاونوا على نصرته الإسلام والمسلمين.⁽¹⁾

(3) الطائف: تقع الطائف على مرتفع من الأرض يُعرف بجبل غزوان شرقي مكة المكرمة،⁽²⁾ لذا تتميز بطيب جوها في الصيف، واعتدال مناخها، وكثرة أشجارها، وكثافة نخيلها، وتنوع ثمارها. وقامت بينها وبين مكة المكرمة علاقات تجارية متينة، واتخذ منها أثرياء مكة مكاناً للراحة، وملاذأً يلجؤون إليه هرباً من حرارة الصيف. ونتيجة لهذه العلاقات وأواصر الصداقة المتينة بين المدينتين، أو القريتين، فقد قال تعالى: (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) (سورة الزخرف: الآية 31).

يرى المؤرخون أن الطائف كانت تُسمى في الأزمان الغابرة (وجا)، نسبة إلى وج بن عبد الحي، شقيق أجا، الذي يُسمى به أحد جبلي طيء، وكان العمالق البائدة، هم أول من سكن الطائف، ثم غلبهم بنو عدوان بن عيلان، وجاءت بعدهم بنو عامر بن صعصعة، ثم أخذتها منهم قبيلة ثقيف، ولكن نشبت الحرب بينها، وبين ولد عامر بن صعصعة، انتهت بهزيمة الأخير، وانفراد ثقيف بالطائف، فتكاثرت وتضخمت، ورأت أن تبني سوراً يكون حصناً لهم يطيف بهم، فسميت لذلك الطائف. وكانت ثقيف تتكون من بطنين كبيرين: الأحلاف وبنو مالك، نشبت بينهما صراعات، استمرت حتى البعثة النبوية.⁽³⁾

(1) سليم: معالم تاريخ العرب، ص 136 - 144.

(2) الحموي: معجم البلدان، ج 4، ص 9.

(3) ابن قتيبة: كتاب المعارف، ص 91؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 1، ص 421، 422.

الفصل الرابع
الحياة الدينية للعرب
قبل الإسلام

يتناول هذا الفصل الديانات غير السماوية: الوثنية، عبادة الجن، المجوسية، الصابئة، ثم الديانات السماوية: اليهودية، النصرانية، الحنيفية. ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن هو التساؤل: لماذا ندرس الحياة الدينية عند العرب قبل الإسلام؟ وتأتي الإجابة من أهمية ذلك لفهم عقلية وطرق تفكير ومعتقدات هؤلاء القوم الذين نزل على نبيهم القرآن الكريم، لعل ذلك يُساعدنا على التعرف على الأسباب التي دعت إلى نزول الوحي من الله، عز وجل، وشروق شمس الدين الإسلامي.

كما أن ذلك يُفيدنا في تأكيد الألفة والاتحاد والتقارب بين عرب الشمال العدنانيين وعرب الجنوب القحطانيين، فلم يكن هناك استقلال أو انفصال بين الأديان والمعتقدات التي اعتنقها عرب الشمال عن تلك التي آمن بها عرب الجنوب، كما تبين أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية والنفسية عند العرب قبل الإسلام قد لعبت دوراً مهماً في نمو الأفكار الدينية، فمثلاً عبادة النجوم والكواكب والجن ترجع إلى طبيعة حياة العربي، واعتقاده في أن لها أثراً عميقاً في مقدراته وأمور حياته ومعيشته اليومية، ومن ثم يرى أن إرضاءها يجلب له الخير والسعادة، وإغضابها يجر عليه الويل والشقاء. كما أن عبادة الشمس والأشجار والأمطار والآبار، وبخاصة عند عرب الجنوب مرتبطة بالاقتصاد، فالعربي الجنوبي قامت حضارته على الشمس والمياه، إذ كانت حضارات - كما سبق الذكر - زراعية تجارية عمرانية، ومن ثم عملوا على أن يستمطروا السماء بأن يقدموا لها القرابين، وكانوا يسجدون للشمس من دون الله، كما جاء في القرآن الكريم في قول الحق سبحانه وتعالى على لسان هدهد سليمان: (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) (سورة النمل: آية 24).

كما أن دراسة أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام تُفيدنا في التعرف على أثر العوامل النفسية في المعتقد الديني، وتصور العربي الجاهلي لآلهته، فبعض الآلهة ارتبطت بانتصار القبيلة على جيرانها، وقد تنتهي بعض الاعتقادات والعبادات؛ نتيجة هزيمة قبيلة، فتعتقد أن سبب ضعفها هو إلهها أو معبودها، فتقرر الاستغناء عنه، والتوجه إلى عبادة إله جديد أقوى وأعظم شأنًا، وأكثر تحقيقاً لنصرها. ويلعب ذلك أيضاً دوراً في ظاهرتي التفاؤل والتشاؤم عند العرب، إذ اعتقدوا أن الأرواح لديها قدرة على الظهور للإنسان في أشكال مختلفة، ومن ثم اعتقدوا أنها قادرة على جلب الخير والشر؛ بل اعتقدوا أن بعض الحيوانات ليست إلا جنأ يتمثل في صورة الحيوان، ولاسيما الحيات، كما قدس العربي الأشجار؛ خوفاً من انتقام الروح التي تحل بها. وكان للقمر أثر نفسي في عبادة العرب قبل الإسلام له، إذ إن ما يبعثه من نور يهدي الناس في ظلمة الليل البهيم، فكان له الدور الأكبر في تنمية ملكات البشر وأحاسيسهم، التي ظهرت بوضوح في أشعارهم.

وهكذا يرجع انتشار عبادة الأصنام (من الصخر) والأوثان (من غير الصخر)، والظواهر الطبيعية إلى توهم العرب أن وراءها قوى روحية كامنة تتحكم في حياتهم ومقدرات أمورهم، وما يدل على أن العربي لم يعيدها معتقداً أنها خالقة، أنه كان مرة يستقسم عند الوثن، ومرة أخرى يسبه ويشتمه، أو يأكله إذا ما حلت بدياره المجاعة، يقول الحق سبحانه وتعالى: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) (سورة الزمر: آية 3). ولهذا اتخذوا لها أشكالاً مادية مختلفة، ملموسة ومحسوسة، وجعلوها رمزاً للآلهة المعبودة، ونظروا لها على أنها الموضع الذي تحل فيه القوى المؤثرة، ولهذا غاب عنهم الاعتقاد في قوة إلهية غيبية عظمى تتحكم في هذا الكون، وحملوا التمايم والتعاويد؛ لاعتقادهم أن فيها قوة سحرية تنفع حاملها، فتجلب له السعد، وتطرده عنه الأذى.

أولاً: الديانات غير السماوية

(1) الوثنية: تمثل هذه العبادة التجسيد المادي للرموز والقوى الخفية، التي تؤثر في حياة العرب قبل الإسلام، وجاء ذلك الاعتقاد من أن الله سبحانه وتعالى جعل من أوليائهم آلهة، ومنحهم بعض قدراته، كالشفاء، والتوفيق في الزواج، والذرية الصالحة، وجلب السعادة، وإبعاد الشر، ولكي يناولوا ذلك يجب عليهم إرضاءها بتقديم القرابين لها. ويروي الإخباريون أن أول من غير دين إسماعيل، عليه السلام، هو عمرو بن لحي الخزاعي، الذي كانت له السيادة على الكعبة في مكة المكرمة، إذ مرض فقيل له إن بالبقاء من الشام مكان يستحم فيه، إذا أتيته برئت، فلما أتاه برئ، فوجد أهلها يعبدون الأصنام، فسألهم عنها، فأخبروه أنهم يستسقون بها المطر، فسألهم أن يعطوه منها، فأعطوه صنماً يقال له (هبل) فقدم به مكة، ونصبه عند الكعبة،⁽¹⁾ ثم قام بتوزيع الأصنام على القبائل، فشاعت عبادتها بين العرب، حتى بلغ عدد الأصنام في مكة المكرمة لما فتحها الرسول، صلى الله عليه وسلم، في العام الثامن للهجرة، 360 صنماً، فأمر بها فكسرت جميعها.⁽²⁾

وشاعت وانتشرت عبادة (هبل) بين أهل مكة، وبين قبائل شبه الجزيرة العربية، فكان الرجل إذا قدم من سفره طاف حول البيت، ثم حلق رأسه عند (هبل) قبل عودته إلى بيته وأهله. وقد صور (هبل) في شكل إنسان، وكانت يده اليمنى مكسورة، فجعلت له قريش فيما بعد يداً من ذهب. وعلى الرغم من علو مكانة (هبل) في نفوس الوثنيين، فإن أشهر الأصنام التي حظيت بالتعظيم والتقدیس من قبل أكثرية القبائل العربية، هي التي ورد ذكرها في قول الحق سبحانه وتعالى: (أفرأيتم اللات والعزى، ومناة

(1) الكلبي: الأصنام، ص 60.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 168.

الثالثة الأخرى) (سورة النجم: الآيتان 19، 20). فقد كانت عبادة الصنم (اللات) منتشرة بين العرب في شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها، وهو عبارة عن صخرة مربعة بيضاء بالطائف، أقامت عليها ثقيف بيتاً قصده الناس، يتقربون إليه، ويذبحون له الذبائح. ويروي الكلبي⁽¹⁾ أن (اللات) كان رجلاً من ثقيف يحج إلى صخرة بالطائف، فلما مات قال لهم عمرو بن لحي الخزاعي لم يمّت وإنما دخل في الصخرة، وأمرهم بعبادتها، وأن يبنوا عليها بنياناً يُسمى (اللات)، فاتخذتها ثقيف، وجعلت له سدنة، وعظمته وطافت به، وبه سُميت قبائل زيد اللات، وتيم اللات، وظلت (اللات) تُعبد من دون الله حتى أسلمت ثقيف، فبعث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المغيرة بن شعبه، فهدمها وأحرقها بالنار.

أما (العزى) فكانت شجرة بوادي نخلة شرق مكة، عندها وثن تعبده غطفان، اتخذها ظالم بن أسعد، وبنى لها بيتاً، فتقرب لها الناس بالذبائح، وقدموا لها الهدايا، وعبدها قريش، وقبائل غني وباهلة وخزاعة ومضر وبني كنانة وغطفان، وكانت (العزى) من أعظم الأصنام عند قريش، يزورونها ويهدون لها، ويتقربون عندها بالذبائح، وظلت تعبد من دون الله، حتى بعث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خالد بن الوليد بعد فتح مكة، وأمره بقطع الشجرة وهدم البيت وكسر الوثن.⁽²⁾

وعبد العرب قبل الإسلام (مناة)، وهي صخرة أقيم لها معبد على ساحل البحر بين مكة ويثرب، وكانت مقدسة عند هبل وخزاعة والعرب جميعاً، وبخاصة الأوس والخزرج، فكانوا يحجون إليها، ولا يحلقون رؤوسهم إلا عندها، وتسمت به بعض القبائل، منها عبد مناة، وزيد مناة، وبقي هذا

(1) الكلبي: الأصنام، ص 16.

(2) الكلبي: الأصنام، ص 18؛ الحموي: معجم البلدان، ج 1، ص 185.

الصنم يعبد من دون الله، حتى هُدم بيد علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، في العام الثامن للهجرة بأمر من رسول الله، صلى الله عليه وسلم.⁽¹⁾

وعبد العرب قبل الإسلام، أرباباً من دون الله، امتدت عبادتها من أيام نوح، عليه السلام، وورد ذكرها في القرآن الكريم (وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) (سورة نوح: الآية 23). فقد اتخذت قبيلة كلب من قضاة الصنم (وداً) معبوداً لها، وكان عوف بن عذرة بن زيد اللات سيد القبيلة هو الذي حمله من وادي القرى ونصبه بدومة الجندل، وأمر بعبادته، وسمى ابنه (عبد ود)، وكان (ود) تمثالاً لفارس محارب، وبقي قائماً في مكانه، حتى بعث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خالد بن الوليد إلى دومة الجندل فهدمه وكسره. أما سواع، فعبارة عن حجر عبده بنو هذيل بن مدركة في رهاط من أرض ينبع على مقربة من يثرب، وهُدم على يدي عمرو بن العاص. أما يغوث فقد نصبه أنعم بن عمرو المرادي بأرض مذحج باليمن، وعبدته مذحج ومن والاه. وعبد الصنم (يعوق) في همدان وخولان، إذ وضعه بالقرب من صنعاء مالك بن مرثد بن جشم، فُعبد. واتخذت قبائل حمير الصنم (نسراً) معبوداً لها في أرض سبأ، وكان على هيئة طائر النسور، وانتشرت عبادته في شبه الجزيرة العربية حتى شمالها، وظلت حمير ومن والاه تعبده حتى تهودت أيام الملك ذي نواس، كما سبق الذكر.⁽²⁾ ويصف القرطبي الأصنام الخمسة التي أخذتها القبائل العربية عن قوم نوح في إيجاز حيث يقول: «كان ود على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر من الطير».⁽³⁾

(1) الكلبي: الأصنام، ص 14؛ الحموي: معجم البلدان، ج 5، ص 204، 205.

(2) الكلبي: الأصنام، ص 56، 57؛ الحموي: معجم البلدان، ج 5، ص 368، 438، 439؛ ج 3، ص 276.

(3) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 20، (القاهرة):

وتوارثت عرب الشمال عن قوم ثمود عبادة الصنم (رضاء)، ويذكر أحد الباحثين أن اسمه ورد في كتابات ثمودية عديدة،⁽¹⁾ واختصت بعبادته قبائل تميم وطيء، وظل يعبد حتى هدمه عمرو بن ربيعة بن كعب بن تميم بعد إسلامه.⁽²⁾ وكذلك عبد العرب قبل الإسلام عن قبائل طسم وجديس، وهما من العرب البائدة، كما سيق الذكر، الصنم (كثري)، حتى كسره نهشل بن الربيع بن عرعة في أيام رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وعبدت قبائل عك والسلف والأشعريين صنماً باسم (المنطبق)، وكان من النحاس، فلما كسرت الأصنام في فتح مكة بالعام الثامن الهجري، وجدوا في جوفه سيفاً، فاصطفاه رسول الله، صلى الله عليه وسلم.⁽³⁾

وقد اختصت القبائل العربية قبل الإسلام عدة أصنام بالرعاية والتقدیس، ومنها (إساف ونائلة)، وهما إساف بن بعلي ونائلة بنت زيد، من جرهم، ويروي الإخباريون أن إساف كان يتعشق نائلة في أرض اليمن، فأقبلا حاجين فدخلوا الكعبة، فوجدا غفلة من الناس وخلوة في البيت ففجر بها في البيت فمُسَخَا، ثم عبدتهما قريش وخزاعة ومن حج البيت من العرب. وكانوا ينحرون ويذبحون عندهما، ويطوفون حولهما، وقد كسرها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يوم فتح مكة فيما كسر من الأصنام.⁽⁴⁾ وعبدت قريش الصنم (مناف)، وكان على هيئة رجل لا لحية له، ينحدر على عارضيه شعر رأسه، وحول جفنيه وحدقتيه خطان ناعمان، على صدره طيات رداؤه، وبه سمي عبدمناف، وقد عثر على كتابة في حوران ورد فيها اسم مناف مع إله آخر.⁽⁵⁾

دار الكتب المصرية، 1357هـ)، ج-18، ص 309.

(1) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج-5، ص 105.

(2) الكلبي: الأصنام، ص 30.

(3) الحموي: معجم البلدان، ج-5، ص 212.

(4) الحموي: معجم البلدان، ج-1، ص 170؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج-1، ص 87.

(5) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج-5، ص 106.

وعبد العرب قبل الإسلام الصنم (ذو الخلصة) ، ووضع بين مكة واليمن ، وإليه كانت تحج القبائل ، وسُمي بذلك لأن عباده والطاءئفين به كانوا من الخلصة ، وكان العرب يأتون إليه للاستقسام والطواف ، وكانوا يهدون إليه الشعير والحنطة ، ويصبون عليه اللبن ، ويذبحون له ، ويعلقون عليه بيض النعام ، وقد أحرقه جرير بن عبد الله البجلي بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم.⁽¹⁾

ومن الأصنام التي عبدها العرب قبل الإسلام ، واشتهر بمعبده الضخم (ذو الشرى) ، حيث عبده الأنباط ، وكانوا يقيمون له احتفالاً سنوياً في 25 ديسمبر من كل عام ، ويقدمون له القرابين. وكان عبارة عن حجر أسود غير مصقول ، يستند إلى قاعدة مكسوة بالذهب ، وقد شاعت عبادته عند بني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزدي في أعالي الحجاز.⁽²⁾ كما اتخذت قبائل مالك وملكان بن كنانة صنماً بساحل جدة اسمه (سعد) ، عبارة عن صخرة طويلة ، يتبركون بها،⁽³⁾ وكان لبني مهنب بن دوس وثن يعرف بـ(ذي الكفين) ، من الخشب ، وقد أحرقه الطفيل بن عمرو الدوسي.⁽⁴⁾ وكان (ذو الرجل) من أصنام أهل الحجاز ، أما قضاة ولخم وجزام وعاملة وعطفان فقد عبدت (الأقيصر) ، وكانوا يحجون إليه ، ويحلقون رؤوسهم عنده ، وذكر في كثير من أشعارهم ، وكان لعنزة صنم يقال له (سعيد) يحجون إليه ، ويطوفون حوله ، وينحرون له الذبائح،⁽⁵⁾ أما (الجلسد) فكان صنم كندة وحضرموت ، وسدنته بنو شكامة بن شبيب بن السكون ، وكان عباده يتقربون إليه بالذبائح ، وقد سقط هذا الصنم وكسرت عنقه يوم بعث النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم.⁽⁶⁾

(1) الكلبي: الأصنام، ص 34؛ الحموي: معجم البلدان، ج 2، ص 1383، 394.

(2) الكلبي: الأصنام، ص 37.

(3) الكلبي: الأصنام، ص 36.

(4) الكلبي: الأصنام، ص 37.

(5) الكلبي: الأصنام، ص 109؛ الحموي: معجم البلدان، ج 3، ص 221.

(6) الحموي: معجم البلدان، ج 2، ص 151، 152.

ومن أشهر الأصنام التي عبدتها قبائل إاد، الصنم (شمس)، إذ عبدته ضبية، تميم، عدي، ثور، عكل. وأقاموا له بيتاً، وتسمى به بعض عرب الشمال، فمنهم عبدشمس، وعمرو شمس، وقد كسره هند بن أبي هالة وصفوان بن أسيد بن الحلال، وكان لبني تميم صنم آخر يُقال له (تيم)، فسموا به عبد تيم وتيم الله⁽¹⁾، وكان (المحرق) صنم بكر بن وائل، وكان لبكر وتغلب صنم آخر يُقال له (آوال)، وكان الفليس صنم قبائل طيء، وهو تمثال على هيئة إنسان لونه أسود، جعلوا موضعه وسط جبل أجا، وكانوا يعبدونه ويهدون إليه القرابين، وكان سدنته من بني بولان، وهدم بيد علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، كما اتخذت طيء كذلك من (اليعبوب)، و(باجر) أصناماً لها يعبدونها من دون الله. وكان (مرحب) صنماً لحضرموت، كما كان (ذريح) لكندة، أما الصنمان (مجاور الرياح)، و(مطعم الطير)، فقد وضعهما عمرو بن لحي عند الصفا والمروة، فكان الناس يحجون إليهما في مواسم الحج.⁽²⁾

وكان العرب يؤدون طقوسهم الدينية في الأشهر الحرم: ذي القعدة، ذي الحجة، المحرم، رجب. وسُميت بذلك لاتفاقهم على حرمة نشوب الحرب فيها أو استباحة الدماء. واختصت الكعبة بالحج الأعظم، وكانت شعائره تتم في شهر ذي الحجة، فكانوا يطوفون به أسبوعاً، ويتبركون بالحجر الأسود، ويسعون بين الصنم (مجاور الرياح) على الصفا، و(مطعم الطير) على المروة، ثم يقفون بجبل عرفة في ساعة الغروب، ثم يفيضون إلى المزدلفة عند شروقها، ثم منى، حيث يرمون الجمرات. وفضلاً عن ذلك كانت كل قبيلة تطوف حول صنمها سبعة أشواط، وكان منهم من يطوف

(1) الحموي: معجم البلدان، ج3، ص362؛ الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص178.

(2) الكلبي: الأصنام، ص59 - 61، 111.

عاري الثياب، وذلك لقولهم: «لا تطوف في ثياب عصينا الله فيها». ومن طقوسهم الدينية كذلك ذبح الذبائح على أنصاب اتخذوها، وكانوا يقدمون الهدايا والندور، التي تتألف من الطيب والبخور والملابس والأسلحة، فضلاً عن الزروع والأنعام، ومنها الإبل التي كانت تقدم حية، البحيرة (تترك بلا انتفاع)، السائبة (تترك سائبة لا تترك ولا يحمل عليها)، الوصيلة (الناقة التي وصلت عشرة أبطن، أو الشاة إذا وصلت سبعة أبطن)، الحام (الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر، فكان يترك لا يجز وبره ولا يمنع الماء والكلاً). قال تعالى: (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) (سورة المائدة: الآية 103). فضلاً عن الحج، قصدت العرب الآلهة لقضاء الحاجات، والمشورة عن قضاياهم، وسؤالها عما يريدون، واستطلاعها في غيبات المستقبل.

كما اتخذ أهل كل دار صنماً صغيراً في دارهم، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به، وإذا قدم من سفره تمسح به، إذ كانوا يعتقدون أنه حامي البيت والأسرة، في الاستقرار والارتحال، في زمني الحرب والسلام، معتقدين أنها تجلب لهم السعادة، وتمنع عنهم الشرور، وتمن عليهم بالخير الوفير والبركات.

(2) عبادة الجن: عرفت بعض نواحي بلاد العرب قبل الإسلام عبادة الجن، فكان بنومليح من خزاعة من أكثر القبائل العربية اعتناقاً لعبادة الجن. قال تعالى: (بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) (سورة سبأ: الآية 41). ولأن الجن في اعتقاد العرب أرواح خبيثة مؤذية، فقد اعتقد عبدة الجن أن المواضع التي تصيبها الكوارث تكون بعد هلاك أصحابها مواطن للجن، لأنها تفضل سكنى المواضع المظلمة، فضلاً عن مواطن الموتى

في المقابر، لذلك كان العرب يتجنبون دخول المناطق التي سكنتها، فقد اعتقدوا بإمكان رؤيتها ومخاطبتها، وتمثلها في أشكال حيوانات، وكانوا يعتقدون أن الغول (أنثى الجن، وذكرها القطرب) توقد للإنسان ناراً إذا أرادت الغدر به. وقد تصور عباد الجن أن الحيات هي بنات الجن.⁽¹⁾

ويعتقد العربي أن الجن تقوم بأعمالها بشكل غير منظور، وترجع الأساطير التي رواها الإخباريون عن الجن، وأفعالهم وعلاقتهم بالإنسان إلى ما عاناها العرب في باديتهم القاسية، وذهبت مخيلة معتنقي عبادة الجن لأبعد من ذلك، فجعلوا بينها وبين الله نسباً، قال تعالى: (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) (سورة الصافات: الآية 158).

وقد نسب بعض العرب لأنفسهم الزواج من الجن، كذلك نسبت بعض القبائل إلى الجن، ونسبوا مقتل بعض أشرفهم إلى الجن، وحاولوا التخلص من الأرواح الخبيثة التي تجلب الخبائث لهم، والتغلب عليها وطردها بإشعال الأشياء، التي تنفر منها الجن في اعتقادهم، ومنها عظام الموتى والأحجار المقدسة، فكانوا يستعملون عظام البشر والحيوانات، وبقايا النيازك من أجل تنفير الجن والأرواح الخبيثة، وفضلاً عن ذلك كانوا يسمون أبناءهم بأسماء غريبة لاتقاء شر الجن، وكانوا يستعيذون بعظيم الجن لاتقاء شرهم، فكانوا يذهبون إلى وادٍ ذي شجر قبل ارتحالهم ويعقلون رواحلهم، ثم ينادون: نعوذ بعظيم هذا الوادي، قال تعالى: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً) (سورة الجن: الآية 6). وعلى الرغم من تلك الاستعاذات تعرضوا للأذى، مما كان يُخرج المستعيذ عن عقيدته، فيكفر بعظيم الوادي.

(1) الكلبي: الأضنام، ص 34؛ المسعودي: مروج الذهب، ج 1، ص 401، 402.

(3) المجوسية: اعتنقت بعض القبائل العربية عبادة النار المعروفة بالمجوسية، وقد انتقلت من بلاد الفرس إلى الحيرة في شرق بلاد العرب، فلما رأى أهلها أن ناراً تعظم وهم عاكفون على عبادتها، فسألوهم عن خبرها، ووجه الحكمة في عبادتها، فأخبروهم بما جذب نفوسهم لعبادتها، وأنها واسطة بين الله وبين خلقه. ولما كانت مملكة الحيرة على اتصال بباقي أنحاء جزيرة العرب، فقد عرفت هذه العبادة طريقها إلى جهات متفرقة، في اليمن وحضرموت، وشرق الجزيرة العربية.

وقد رأى المؤمنون بعبادة النار من العرب أن فيها قدرات فريدة، تأثرت بها حياتهم، فهم مثلاً ينتفعون بها في طهي طعامهم، والتدفئة في ليالي الشتاء، كما تضيء لهم طريقهم في أسفارهم، بل صار لها شأن في تحالفاتهم وروابطهم، فإذا عقد حلف بين قبيلتين أوقدوا ناراً، ثم حلفوا عليها، وألقوا عليها ملحاً وكبريتاً. وجعلوا للنار سدنة يحرسون على إبقائها دائماً مشتعلة، ويقومون بأخذ اليمين، فكانت مهابة في نفوسهم لا يحلف بها أهل الباطل لخشيتهم من فتكها بهم.

وكانوا يشعلون نار التحالف، ونار اليمين، ونار الاستمطار، ونار اتقاء الشر، ونار الغدر، ونار السلامة التي توقد للقادم من سفره عند عودته سالماً، وأوقدوا كذلك ناراً من أجل الإهلاك، فمنها نار الطرد للدعاء على شخص لا يراد عودته، ونار السلم فتوقد للمريض ليشتد به الأمر ويهلك.⁽¹⁾

(4) الزندقة: من بين الديانات التي اعتنقتها بعض العرب، أخذوها من الحيرة المجوسية، وهم القائلون ببقاء الدهر، ولا يؤمنون بالآخرة، ولا بوحدانية الله عز وجل، ويسخرون من الاعتقاد في البعث بعد الموت، ويرون

(1) ابن قتيبة: كتاب المعارف، ص 266؛ المسعودي: مروج الذهب، ج 1، ص 470؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 1، ص 244.

استحالتة، قال تعالى: (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) (سورة الجاثية: الآية 24).

والزندقة ترجع إلى الخروج والانشقاق عن الديانة المزدكية عند الساسانيين الفرس، غير أنها أطلقت فيما بعد على الشعوبيين الذين كانوا من أصل مجوسي فأسلموا وكانوا يبطنون غير ما يعلنون، وعرفوا بالموالي الحمر في العصر العباسي.⁽¹⁾

(5) الصابئة: انتشرت الصابئة بين العرب في اليمن وحران وأعالي العراق، ويعبد أتباعها النجوم والكواكب، للاهتداء بها في أسفارهم، وتعاقب الليل والنهار، وغيرها من أسباب معاشهم. كما كان للشمس مكانة عظيمة عند عرب الجنوب، فقد سوها وعبدوها، قال تعالى: (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) (سورة النمل: الآيتان 23، 24). كما عبدوا القمر، والزهرة، وأسسوا البيوت لعبادتها، وكانوا يسجدون لها من دون الله.

كما عبدت بعض بطون قبائل تميم نجوماً صفاراً، نحو عشرين نجماً، يقال لها القلاص، وهي من مجموعة الديران النجمية، كما عبدت بطون من طيء (الثريا)، وبطون من ربيعة (المرزم)، كذلك عبدت بعض قبائل لخم وخزاعة وبعض بطون قريش (الشعري)، وقد نهاهم الله تبارك وتعالى عن عبادة ذلك النجم في قوله تعالى: (وأنه هورب الشعري) (سورة النجم: الآية 49).⁽²⁾

(1) ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص 228.

(2) المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص 461، 268.

ثانياً: الديانات السماوية

(1) اليهودية: عرف العرب قبل الإسلام الديانة اليهودية، التي دخلت بلاد العرب على أيادي الجماعات المهاجرة، التي استوطنت وأقامت في أخصب المناطق العربية، ولاسيما عند مواضع المياه، فقد انتشرت في خيبر ويثرب ووادي القرى وفدك وتيماء واليمن. وكانت هجرة الجماعات اليهودية من بعض جهات أرض كنعان؛ نتيجة اصطدامهم بالإمبراطور الروماني تيتوس (79-81 م)، الذي هدم الهيكل المقدس سنة 70 م، ثم ازدادت الهجرة في عهد الإمبراطور هادريان (117-138 م)، منذ سنة 132 م.

ويرجع الوجود اليهودي في شبه الجزيرة العربية إلى ما قبل الميلاد، إذ نقل الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني (605-562 ق. م) الكثير من اليهود من بيت المقدس إلى بابل، حيث «دخل هو وجنوده بيت المقدس... وخرّب بيت المقدس... ثم انصرف راجعاً إلى بابل، وأخذ معه سبائاً بني إسرائيل»،⁽¹⁾ هذا بالإضافة للقوافل التجارية بين بلاد العرب الجنوبية وبلاد الشام، والتي كان لها أثر كبير في انتقال الجماعات اليهودية إلى الأراضي الخصيبة في الجزيرة العربية، حيث عملوا في الأعمال التي كان يأنها العربي الأصل، فبنوا الأطام لحماية أنفسهم وممتلكاتهم من اعتداءات الأعراب عليهم، كما أمنوا على أنفسهم بالاتفاق مع رؤساء القبائل العربية المجاورة، وتقديم الهدايا لاسترضائهم.

وكانت يثرب المركز الرئيس لليهودية في شبه الجزيرة العربية، فنزلها أولاً بنو النضير، ثم بنو قريظة، ثم بنو قينقاع، وغيرهم، وقد أكرم العرب وفادة اليهود إليهم، وسمحوا لهم بالعيش في سلام بين ظهرانيهم،⁽²⁾ وظل الأمر

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج1، ص 149، 150.

(2) الحموي: معجم البلدان، ج5، ص 83، 234.

كذلك حتى قويت شوكة اليهود، وأصبحوا سادة يثرب، فلما هاجر الأوس والخزرج إليها على إثر انهيار سد مأرب، قسّموا المدينة فيما بينهم، ولم يبق لليهود فيها أي سلطان، ووجه اليهود اهتمامهم للنواحي الاقتصادية، فاحترفوا الزراعة والتجارة وبعض الحرف مثل الصياغة، وكانوا يقرضون الأموال بالربا الفاحش لجيرانهم العرب، ويعيشون في حماية سادة القبائل، يؤدون لهم إتاوة في كل عام، ولجؤوا إلى عقد المحالفات لتحقيق أهدافهم.⁽¹⁾

وجدت اليهودية طريقها إلى بلاد اليمن أيضاً على يدي تبان بن أسعد أبي كرب، ملك حمير (390-420م)، الذي اعتنق هذه الديانة عن طريق حبرين من أحبار اليهود، هما كعب وأسد من بني قريظة، بينما كان عائداً من حروب قام بها في الشمال، فمرب يثرب، فأبعدها عن عبادة الأوثان، هذا فضلاً عن هجرة بعض اليهود من الشام إلى بلاد اليمن، ويرى الباحثون أن المهاجرين كانوا من العرب المتهودين، ورغم ضعف اليهودية في اليمن بعد خضوعها لحكم نجاشي الحبشة، إلا أنها بقيت إلى ما بعد ظهور الإسلام.⁽²⁾

تنامى المد اليهودي في اليمن، وأدى إلى اعتناق الملك ذي نواس بن تبان أسعد، ملك حمير (510-525م)، اليهودية، وتعصب لها وجعلها ديناً رسمياً للدولة، ولجأ إلى العنف والشدة في سبيل حمل المسيحيين على اعتناقها، بعد أن حرّضه اليهود، ودفعوه إلى التنكيل بهم، بحجة أنهم يعملون على نشر المسيحية في اليمن، ومن ثم استيلاء الأحباش عليها، فسار ذو نواس إلى نجران، وقضى على المسيحيين هناك حرقاً بالنار. قال تعالى: (قتل أصحاب الأخدود، النار ذات الوقود، إذ هم عليها قعود). (سورة البروج: الآيات 4-6).

(1) السيد محمد أحمد ياسين الخياري المدني الحسيني: المدينة المنورة واليهود، (جدة: مطابع النفر،

2002)، ص 74 - 77.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 1، ص 244.

كان لليهود في جزيرة العرب أماكن للعبادة تعرف بالكنيس، كما كانت لهم مدارس يتدارسون فيها أحكام شريعتهم، وكانت بمثابة دار ندوة لليهود، يجتمعون فيها للتزاور والبحث في شؤونهم الدينية والحياتية. أما أماكن صلاتهم فتعرف بالمحاريب،⁽¹⁾ وعرف رجال الدين عندهم بالأخبار والربانيين، فالأخبار هم العلماء والرجال الصالحون، وكانوا يقيمون في أماكن اليهود في شبه الجزيرة العربية، أو يأتون من فلسطين.⁽²⁾ أما الربانيون فهم العلماء الراسخون في العلم والدين، والذين لا يأخذون أجوراً على أعمالهم؛ بل يقومون بها قربة لله رب العالمين، لهذا تمتعوا بحرمة عظيمة في المجتمع.

كان اليهود متيقنين من قرب ظهور نبي مرسل من رب العالمين، وكانوا يفاخرون بذلك الأوس والخزرج في يثرب، إلا أنهم أنكروا نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكفروا به، وأظهروا للإسلام العداوة والبغضاء، وقاموا بتحريض الوثنيين على محاربة الإسلام. قال تعالى: (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) (سورة البقرة: الآية 89).

(2) النصرانية: دخلت النصرانية بلاد العرب وانتشرت فيها بالتبشير وليس بالهجرة كاليهودية، وتم هذا التبشير بدخول بعض النساك والرهبان إلى شبه الجزيرة العربية، ومنهم من رافق الأعراب، وعاش معهم، وجاورهم في عيشتهم، وطرق حياتهم، فعرفوا بأساقفة الخيام، أو أساقفة أهل الوب، ولعب هؤلاء الرهبان والأساقفة دوراً كبيراً في نشر المسيحية بين

(1) ابن منظور: لسان العرب، ج8، ص 83؛ ج7، ص 382.

(2) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص 103.

العرب، نتيجة لزهدهم وورعهم، وإتقانهم التأثير ووسائل الإقناع والمنطق، بالإضافة لمعرفةهم مداواة بعض الأمراض، وكان للأخيرة الفضل الكبير في دخول عدد من الأمراء وسادات القبائل في النصرانية.

اتخذ النصارى من الأديرة التي أنشؤوها في جزيرة العرب وسيلة للتبشير، ونشر النصرانية، إذ كان الرهبان يلعبون دورهم في التعريف بدينهم، ويؤدون شعائرهم في حضور زوارهم ويدعونهم للانضمام إلى النصرانية، وانتشرت هذه الأديرة في العراق والشام والحجاز ونجد وجنوب الجزيرة العربية وشرقها، وقد حظيت تلك الأديرة برعاية قياصرة الروم، الذين شجعوها، وأغدقوا على المبشرين حتى يضمنوا ولاءهم، ويأمنوا مصالحهم الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية.

بدأت المسيحية تنتشر بين العرب انطلاقاً من بلاد الشام، التي كانت المعقل الأول، فانتشرت بين عرب بلاد الشام من الغساسنة، وغيرهم من قبائل كلب وقضاعة وعاملة وجذام، وإياد، وطيء، وفي بلاد العراق وجدت النصرانية لها أرضاً خصبة عند أهالي الحيرة، وعلى الرغم من تبعية الحيرة إلى الفرس إلا أن الأكاسرة لم يكن يهمهم نشر المجوسية بين أتباعهم لاعتبارها ديانة خاصة بالفرس من دون غيرهم، فلم تهتم الإمبراطورية الفارسية بانتشار النصرانية بين المواليين لها؛ لأنها لم تجد فيها ما يتعارض مع مصالحها، خصوصاً أن النصارى في الشام كانوا على المذهب اليعقوبي، القائل بالطبيعة الواحدة للمسيح، بينما كان نصارى العراق ومن والاهم من قبائل تغلب وإياد وبكر من أتباع المذهب النسطوري، الذي يرى أن للمسيح طبيعتين: اللاهوت والناسوت.

تُرجع المصادر التاريخية القديمة وجود النصرانية في شبه جزيرة العرب، التي تذكرها باسم البلاد العربية، وتحصرها ما بين البحر الأحمر، وخليج

عدن، وبحر عمان وخليجه، وصحراء سوريا شمالاً، تُرجع أصول وجودها إلى القديس بولس، الذي ذهب إلى دمشق بعد اهتدائه للمسيحية، حيث كانت في حوزة أرتاس (9 ق.م - 40 م) الذي كان يحكم الأنباط وهم من جنس عربي، وكان قد استولى على الحكم بدون إذن أغسطس قيصر، إمبراطور روما (16 ق.م - 14 م)، الذي اعترف به أخيراً. ولا نعرف على وجه الدقة كيف ومتى نشرت المسيحية في البلاد العربية.

توجه القديس بولس الطرسوسي (5-67 م) إلى البلاد العربية حيث بدأ التبشير فيها، ولكن عندما لم يجد قبولاً لدعوته التزم الصمت. ودخلت منطقة دمشق وما جاورها في نطاق الرومان، وأسسوا فيها مقاطعة جديدة أطلقوا عليها اسم (أرابيا) وجعلوا (بصرى) عاصمة لها. وكانت (بصرى) مركزاً للمواصلات، فكان يلتقي فيها طريقتان يصلان بدمشق والبتراء وميناء أبل، كما أنها كانت ملتقى لطرق القوافل. وقد ذكر المؤرخ الكنسي الشهير من بين المطارنة العرب اسم بيريلوس، أسقف العرب في (بُصرى)، في دلالة على أنه كان يوجد في منطقة (بُصرى) في جنوب البحر الميت جماعات مسيحية منظمة، حتى استسلمت (بُصرى) للفاتحين العرب في سنة 634 بعد انتصار المسلمين في معركة اليرموك.

وقد امتد اضطهاد دقلديانوس، إمبراطور روما (284-305) إلى مسيحيي الديار العربية، ويذكر كتاب الشهداء الروماني، شهداء عرباً مسيحيين قتلوا، وأجبروا على العمل في المناجم. أدخل مجمع خلقدونية تغيرات في نظام الأبرشيات المسيحية، فالمقاطعات الثلاث المسماة فلسطين، والتي كانت جزءاً من مقاطعة (أرابيا) أدمجت في بطريركية أورشليم، واعترف بانتماء المقاطعة الكنسية العربية إلى بطريركية أنطاكية.

أما كيف كانت تعمل الكنائس المسيحية في المنطقة العربية، فيعطي المؤرخ (هارناك) صورة لما كانت عليه هذه الكنائس كآلآتي: على رأس كل كنيسة أسقف، في يده كل السلطة في نطاق أبرشيته، وتتركز فيه السلطة الكهنوتية، ومعاونون هم الشماسة، يساعدونه في مراعاة النظام في الكنيسة، ويوزعون الصدقات، ويوزرون المرضى، كما يوجد مساعدا الشماسة.

وصلت النصرانية إلى شرق الجزيرة العربية عن طريق الجماعات التبشيرية المسيحية، حيث كانت المنطقة مركزاً تجارياً يستقبل القوافل التجارية من كل حذب وصوب، حيث رافق المبشرون تلك القوافل في سبيل نشر المسيحية بين سكان المناطق، التي يحطون فيها رحالهم، وانتشرت النصرانية من العراق إلى البحرين وعمان واليمامة في زمن المناذرة، الذين دانوا بالنصرانية، بعد اعتناق النعمان بن المنذر المسيحية في حوالي عام 593 م. وتشير المصادر التاريخية إلى وجود عدد من الكنائس في سواحل شبه الجزيرة العربية، أنشأها البيزنطيون، وكانت في قطر مطرانية تعرف في اللغة الأرامية باسم بيت (قطرايا)، وكان لها عدة أسقفيات في إقليم البحرين، منها أسقفية (سماهيح)، التي تعتبر أول أسقفية تشير المصادر التاريخية إلى وجودها في إقليم البحرين، وتتبع بيت (قطرايا). وقد بقيت النصرانية في إقليم البحرين حتى بعد الإسلام، ومارس المسيحيون طقوسهم وأمورهم الدينية بحرية تامة في ظل الإسلام.

وقد انتشرت النصرانية في جنوب شبه الجزيرة العربية في فترة مبكرة، إذ تأثرت مملكة حمير بالدعاية اليهودية، ومهد ذلك السبيل لقبول المسيحية عندما وصلت دعوتها إلى المنطقة في القرن الرابع الميلادي. واعتق الملك الحميري المسيحية، وأسست ثلاث كنائس. وكان لاتصال بلاد الحجاز بالبحيرة وبلاد الشام أن دخلت النصرانية إليها، كما ذكر أن معظم الرقيق

في مكة كانوا نصارى، وأنه كان بها جالية من الروميات والنصارى، وفضلاً عن ذلك وجدت جالية حبشية، كان من بينها عدد كبير من النصارى، كانوا يقومون بالخدمة وبالأعمال التي كان يحتقرها ويزدرجها أهل مكة، ومن ناحية أخرى تزوج بعض رجال قريش من نصرانيات، فكانت أم الحارث بن عبد الله المعروف بالتبعا نصرانية.⁽¹⁾

وبالتبشير دخلت المسيحية أيضاً إلى اليمن، وصار لها مركز قوة فيها في القرن الرابع الميلادي، يدل على ذلك اشتراك أسقف اليمن في أعمال مجمع نيقية الذي انعقد في عام 325م، كما أرسل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الثاني (337-361م) سفارة مسيحية إلى الجنوب برئاسة ثيوفيلوس الهندي لإقناع ملوك اليمن بإقامة بعض الكنائس للمسيحيين. وكانت نجران من مواطن النصرانية في بلاد العرب الجنوبية، وقد اشتهرت بكنائسها الكبيرة والفخمة، كذلك أنشأ الأحياء كنيسة في ظفار، وكان لأهل صنعاء كنيسة عظيمة لا تقل روعة عن كنيسة نجران، عرفت باسم (القليس)،⁽²⁾ وكان أباطرة الروم يمدون الكنائس بالأساقفة والمبشرين، كما أغدقوا عليها الأموال حتى تتمكن من القيام بمهامها في نشر النصرانية في تلك البلاد، التي تشكل لهم أهم مناطق النفوذ والمصالح السياسية والاقتصادية.

وعلى الرغم من انتشار النصرانية في بلاد العرب، إلا أن معظم نصارى العرب لم يكونوا على علم وفقه بأمور دينهم، بل ساروا وراء المبشرين لاعتقادات خرافية بمقدرتهم على شفاء المرضى، والتوسط إلى الله تبارك وتعالى؛ لتحقيق أهدافهم وأمانهم، ومن ناحية أخرى تنصر كثير من

(1) الأصفهاني: الأغاني، ج1، ص30.

(2) الحموي: معجم البلدان، ج4، ص494، 495.

العرب من أجل المصالح السياسية والاقتصادية؛ لإرضاء سادتهم من الروم والحبش، وقد اتضح ذلك من وجود مراكز الثقل النصراني في المواضع التي دان فيها العرب بالتبعية للإمبراطورية البيزنطية، وفي بلاد اليمن حيث الاحتلال الحبشي.

(3) الحنيفية: وجدت في شبه الجزيرة العربية طائفة من العرب أحجمت عن الوثنية والصابئة والمجوسية وغيرها من الديانات التي انتشرت في بلاد العرب، واتخذت من عقيدة إبراهيم الخليل، عليه السلام، ديناً لها، وهو الدين الذي يدعو إلى عبادة الله الواحد القهار، وكانوا يقضون أيامهم ولياليهم في تأمل الكون الذي يعيشون فيه، وتجنبوا فعل المنكرات التي اعتاد عليها العرب، ونصحوا الناس بالابتعاد عن الوثنية والتقرب إلى الله، فهم مسلمون كغيرهم من المؤمنين، الذين عبدوا الله حق عبادته منذ بدء الخليقة، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد ساءوا في الجزيرة العربية بحثاً عن الدين الصحيح، فالتقوا بأخبار اليهود ورهبان النصارى، ولكنهم لم يجدوا عندهم ما يطمثون إليه، إذ لم يجدوا التوحيد الخالص لله كتوحيد دين إبراهيم عليه السلام، ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل، وعبدالله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وسويد بن عامر المصطلق، وعمير بن جندب الجهني، وأبوقبس صرمة بن أبي أنس، والشاعر زهير بن أبي سلمى، والشاعر عبيد بن الأبرص، وكعب بن لؤي بن غالب، وغيرهم.⁽¹⁾

الخلاصة: إن العرب قبل الإسلام لم يكونوا على دين واحد، وكانت أكثريتهم من عبدة الأصنام والأوثان، وكان لكل قبيلة صنم أو جملة أصنام تقدها

(1) ابن هشام: السيرة النبوية، ج 1، ص 228 - 230.

وتتقرب إليها بالهدايا والندور والقرابين، فإذا ما تعرضت القبيلة لكارثة تخلّت عن آلهتها وعبدت غيرها، وإلى جانب الأغلبية الوثنية وجدت أقليات يهودية سكنت المناطق الخصبة في الجزيرة العربية، واهتمت بالثروة والرخاء الاقتصادي، ولذلك تركزت منازلها في يثرب واليمن والبحرين.

كما وجدت أقلية مسيحية أو نصرانية اهتمت بالتبشير والانتشار في الجزيرة العربية من أجل نشر سيادة الإمبراطورية البيزنطية، وتوطيد سلطة أباطرتها في تلك المناطق الغنية التي تتحكم في أهم طرق التجارة، والتي تمثل العمق الإستراتيجي بين الفرس والروم، فبدلوا الأموال في سبيل نشر المسيحية بين العرب، وفضلاً عن ذلك وجد المجوس الذين تأثروا بالفرس وتعلموا منهم عبادة النيران، والصابئة الذين اتخذوا النجوم والكواكب ديناً لهم.

وأخيراً؛ ظهرت طائفة من العقلاء، الذين رفضوا عبادة الأصنام، وسفهاوا القائلين بها، وساحوا في الجزيرة العربية هائمين بحثاً عن الهداية، ويبحثون عن دين الخليل إبراهيم، عليه السلام، أي دين التوحيد الخالص، وعرفوا بالحنفاء الذين كانوا موحدون يعبدون الله عز وجل، وحده لا شريك له، ولم يتخذوا النصرانية أو اليهودية ديناً لهم. قال تعالى: (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) (سورة آل عمران: الآية 67).

ووسط هذا التخبط الديني والفضاء الروحي أشرفت شمس الإسلام على شبه الجزيرة العربية، التي شرفها الله سبحانه وتعالى بخاتم النبيين والمرسلين محمد، صلى الله عليه وسلم، الذي أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فكانت خير أمة أخرجت للناس.

المصادر والمراجع

أولاً: باللغة العربية

- 1- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (بيروت: 1978).
- 2- ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، علي محمد عمر (تحقيق)، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2004).
- 3- ابن كثير: البداية والنهاية، (بيروت: 1978).
- 4- ابن منظور: لسان العرب، عبد الله الكبير وآخرون (تحقيق)، (القاهرة: دار المعارف، 1984).
- 5- ابن هشام: السيرة النبوية، عمر عبد السلام تدمري (تحقيق)، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1990).
- 6- أبو الحسن المسعودي: أخبار الزمان وعجائب البلدان، خالد علي نبهان (تحقيق)، (القاهرة: مكتبة النافذة، 2013).
- 7- أبو جعفر بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 10 ج، محمد أبو الفضل إبراهيم (تحقيق)، (القاهرة: دار المعارف، 1969).
- 8- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: الأنواء في مواسم العرب، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1988).
- 9- أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، (القاهرة: 1954).
- 10- أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي: فتوح الشام، (بيروت: منشورات الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، د. ت.).
- 11- أبو فرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، تحقيق عبد السلام محمد هارون،

- (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010).
- 12- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: كتاب المعارف، (القاهرة: دار المعارف، 1986).
- 13- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري: أسباب النزول، عصام بن عبد المحسن الحميدان (تحقيق)، (الدمام: دار الإصلاح، 1992).
- 14- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، كمال بسيوني زغلول (تحقيق)، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1991).
- 15- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: أخبار الزمان، (النجف: المكتبة الحيدرية، 1966).
- 16- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، 4ج، كمال حسن مرعي (تحقيق)، (بيروت: المكتبة العصرية، 2005).
- 17- أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: التنبيه والإشراف، عبد الله إسماعيل الصاوي (تحقيق)، (بغداد: مطبعة المثني، 1938).
- 18- أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، (بغداد: دار البيان ومطبعة النجاح، 1958).
- 19- أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان، عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع (تحقيق)، (بيروت: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1987).
- 20- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2000).

- 21- أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري: الأنساب، محمد إحسان النص (تحقيق)، (مسقط: وزارة التراث والثقافة، 2006).
- 22- أبي المنذر هشام بن محمد السائب الكلبى: جمهرة النسب، ناجى حسن (تقديم)، (بيروت: مكتبة النهضة العربية، 1986).
- 23- أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى: كتاب الأضنام، أحمد زكى باشا (تحقيق)، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1995).
- 24- أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى: تفسير الطبرى من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 7ج، بشار عواد معروف وآخر (تحقيق)، (بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، 1994).
- 25- أبوزكريا يزيد بن محمد الأزدي: تاريخ الموصل، علي حبيبة (تحقيق)، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1967).
- 26- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، (دمشق وبيروت: دار ابن كثير، 2002).
- 27- أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي: كتاب المغازي، مارسدن جونس (تحقيق)، (بيروت: عالم الكتب للنشر والتوزيع، 1984).
- 28- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، عبد السلام محمد هارون (تحقيق)، (القاهرة: دار المعارف، 1962).
- 29- أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، (بيروت: دار النهضة العربية، 1989).
- 30- أحمد أمين سليم: معالم تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت: مكتبة كريدية إخوان، د.ت.).

- 31- أحمد عبدالرحيم نصر: التراث الشعبي في أدب الرحلات، (الدوحة: مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1995).
- 32- أحمد عمر الزيامي: مكة وعلاقتها الخارجية 301-487 هـ، (الرياض: عمادة شؤون المكتبات جامعة الرياض، 1981).
- 33- أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، (القاهرة: 1963).
- 34- أحمد محمد الحوي: المرأة في الشعر الجاهلي، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1963).
- 35- أحمد محمد عبيد: العصر الجاهلي وأدابه في مصادر التراث العربي المنقودة والمخطوطة والمطبوعة، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2000).
- 36- إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية، أحمد عبدالغفور عطار (تحقيق)، (بيروت: دار العلم للملايين، 1979).
- 37- الحافظ أبو الحسين مسلم الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1426).
- 38- الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام، 17 ج، بشار عواد معروف (تحقيق)، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2001).
- 39- الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني: سنن أبي داود، 7 ج، شعيب الأرنؤوط وآخر (تحقيق)، (دمشق: دار الرسالة العالمية، 2009).
- 40- الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي: الجامع الكبير، 6 ج،

- بشار عواد معروف (تحقيق)، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996).
- 41- الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 13 ج، محب الدين الخطيب وآخر (تحقيق)، (بيروت: دار المعرفة، 1379).
- 42- السيد محمد أحمد ياسين الخياري المدني الحسيني: المدينة المنورة واليهود، (جدة: مطابع الثغر، 2002).
- 43- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (القاهرة: دار المعارف، د.ت.).
- 44- تشارلز داوتي: ترحال في صحراء الجزيرة العربية، صبري محمد حسن (ترجمة)، 2 ج، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005).
- 45- تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، 7 ج، أيمن فؤاد سيد (تحقيق)، (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1995).
- 46- تقي الدين المقرئزي: رسائل المقرئزي، رمضان البدرى وآخر (تحقيق)، (القاهرة: دار الحديث، 1998).
- 47- تيودور نولدكه: أمراء غسان، قسطنطين رزيق (ترجمة)، (بيروت: 1933).
- 48- جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، (بغداد: المجمع العلمي العراقي، د.ت.).
- 49- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت وبغداد: دار العلم للملايين ومكتبة النهضة، 1980).
- 50- جورج أوغست فالين: رحلات فالين إلى جزيرة العرب، (لندن: دار

- الوراق للنشر، 2008).
- 51- جورجى زيدان: العرب قبل الإسلام، (بيروت: 1968).
- 52- جون لويس بوركهارت: ترحال في الجزيرة العربية، ج1، صبري محمد حسن (ترجمة)، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2007).
- 53- جيمس ريموند ولستيد: رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، سليم طه التكريتي (ترجمة)، (بغداد: مطبعة ثويني، 1984).
- 54- جيمس ريموند ولستيد: تاريخ عمان، رحلة في شبه الجزيرة العربية، عبدالعزيز عبدالغنى إبراهيم (ترجمة)، (بيروت: دار الساقى، 2002).
- 55- جيمس هنري ويلستيد: رحلات في الجزيرة العربية، ج2، محمد درويش (ترجمة)، أحمد عبدالرحمن السقاف (تقديم ومراجعة)، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث والمجمع الثقافي، 2009).
- 56- حبيبة الزيات: المرأة في الجاهلية، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013).
- 57- حسين الشيخ: العرب قبل الإسلام، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1993).
- 58- حسين بن علي دخيل الله أبو الحسن: نقوش لحبانية من منطقة العلا، (الرياض: وزارة المعارف، 2002).
- 59- حسين الحاج حسن: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1998).
- 60- خليل يحيى نامي: نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها، (القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية،

(1943).

61- رتشارد بيرتون: رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، 3ج، عبدالرحمن عبداللطيف آل الشيخ (ترجمة)، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الألف كتاب الثاني 177، 1995).

62- زينب الخضيرى: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1989).

63- سالم حميش: الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، (بيروت: دار الطليعة، 1998).

64- سائلة محمود محمد عبدالقادر: منهجية ابن خلدون في تدوين السيرة النبوية وتفسيرها، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2010).

65- سانت جون فيلبي: بعثة إلى نجد 1917-1918، عبدالله الصالح العثيمين (ترجمة)، (الرياض: مكتبة العبيكان، 1997).

66- سليمان بن عبدالرحمن الذيب: نقوش صفوية من شمالي المملكة العربية السعودية، (الرياض: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، 2003).

67- سليمان عبدالرحمن الذيب: نقوش جبل أم جذايد النبطية، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2002).

68- سليمان بن عبدالرحمن الذيب: نقوش ثمودية من سكاكا، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2002).

69- سليمان بن عبدالرحمن الذيب: نقوش الحجر النبطية، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1998).

- 70- شاكِر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، 2ج، (بيروت: دار العلم للملايين، 1983).
- 71- شكيب أرسلان: تاريخ ابن خلدون، (القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، 2012).
- 72- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 20ج، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1357هـ).
- 73- صالح محمد زكي اللهيبي: التراتيب النبوية دراسة تاريخية في ضوء صحيح البخاري، (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، 2007).
- 74- ضيف الله بن يحيى الزهراني: (ملاحم من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مكة المكرمة من خلال كتاب رحلات في شبه الجزيرة العربية لمؤلفه جون لويس بوركهارت)، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الثاني، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000).
- 75- طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، (بيروت: شركة الوراق للنشر المحدودة، 2012).
- 76- طه حسين: في الشعر الجاهلي، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1926).
- 77- طه حسين: في الأدب الجاهلي، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014).
- 78- عباس توفيق: محمد بن جرير الطبري ومنهجه في تفسير القرآن الكريم وكتابة التاريخ، (دار ناشري للنشر الإلكتروني، 2013).
- 79- عبد الحميد محمود المعيني: شعر بني تميم في العصر الجاهلي،

- (بريدة: منشورات نادي القصيم الأدبي، 1982).
- 80- عبدالرازق متاني: علم الآثار وصناعة التاريخ، (أم الفحم: مركز الدراسات المعاصرة، 2010).
- 81- عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: المقدمة، (القاهرة: دار الشعب، د.ت.).
- 82- عبدالسلام هاشم حافظ: المدينة المنورة في التاريخ، (المدينة المنورة: نادي المدينة المنورة الأدبي، 1982).
- 83- عبدالعزيز عبد الغني إبراهيم: روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول 1500-1840، (بيروت: دار الساقى، 2013).
- 84- عبدالقادر بن محمد جلال الدين: إعلاء البخاري تثبيت مكانة الإمام البخاري وصحيحه من خلال رد الشبهات حولهما، علي بن محمد العمران (تقديم)، (الرياض: دار سلف للنشر والتوزيع، 2018).
- 85- عبيد بن شرية الجرهمي: الملوك وأخبار الماضين، (حيدر آباد: مطبعة حيدر آباد الدكن، 1347).
- 86- عمار السنجري: البدو بعيون غربية (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2008).
- 87- علي عفيفي علي غازي: الخط العربي في كتابات الرحالة الغربيين، (الرياض: كتاب المجلة العربية 252، 2017).
- 88- علي عفيفي علي غازي: كتابات الرحالة مصدر تاريخي، (الرياض: كتاب المجلة العربية 262، 2018).

- 89- علي عفيفي علي غازي: الصراع الأجنبي على العراق والجزيرة العربية في القرن التاسع عشر، (بيروت: دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، 2015).
- 90- علي عفيفي علي غازي: أعلام الخطاطين، (الدوحة: دار روزا للنشر والتوزيع، 2020).
- 91- علي عفيفي علي غازي: النقوش والكتابات في كتابات الرحالة الغربيين، (عمان: خطوط وظلال للنشر والتوزيع، 2021).
- 92- علي عفيفي علي غازي: تطور مناهج البحث في الدراسات التاريخية، (الدوحة: دار زكريت للنشر والتوزيع، 2020).
- 93- عمرو عبدالعزيم منير: مصر في الأساطير العربية، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2016).
- 94- فاروق خورشيد: أديب الأسطورة عند العرب، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2002).
- 95- فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى: الحضر مدينة الشمس، (بغداد: مديرية الآثار العامة بوزارة الإعلام، 1974).
- 96- فيليب حتى وإدوارد جورجي: تاريخ العرب، (بيروت: 1961).
- 97- كارستن نيبور: رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، محمود حسين الأمين (ترجمة)، (بغداد: شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، 1965).
- 98- كارستن نيبور: وصف أقاليم شبه الجزيرة العربية، (بيروت: دار الانتشار العربي، د.ت.).

- 99- كارستن نيبور: (بغداد في رحلة نيبور)، مصطفى جواد (ترجمة)، في كتاب: بغداد بأقلام رحالة، (لندن: دار الوراق للنشر المحدودة، 2007).
- 100- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نبيه أمين فارس ومدير البعلبكي (ترجمة)، (بيروت: دار العلم للملايين، 1968).
- 101- كاي أرنهيم: عاشق الصحراء جورج أوغست والين حياته ومذكراته، مارية باكلا (ترجمة)، (أبو ظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والسياحة، 2012).
- 102- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، (القاهرة: دار الحديث للنشر والتوزيع، 2008).
- 103- محمد أحمد جاد المولى بك (وآخران): أيام العرب في الجاهلية، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1942).
- 104- محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1981).
- 105- محمد أمين البغدادي الشهير بالسويدي: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.).
- 106- محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى المدني: السيرة النبوية، أحمد فريد المزيدي (تحقيق)، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2004).
- 107- محمد بن صامل العلياني السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، 1984).
- 108- محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم: (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، د.ت.)، ص 29-32.

- 109- محمد علي سعد الله: في تاريخ مصر القديمة، (الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 2001).
- 110- محمد كمال الدين عز الدين: المقرئ مؤرخاً، (بيروت: عالم الكتب، 1990).
- 111- محمد ميروك نافع: تاريخ العرب.. عصر ما قبل الإسلام، (القاهرة: 1949).
- 112- محمد ميروك نافع: عصر ما قبل الإسلام، (القاهرة: مطبعة السعادة، 1952).
- 113- محمد محمود جمعة: النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية، (القاهرة: مطبعة السعادة، 1949).
- 114- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، عبدالستار أحمد فراج (تحقيق)، (الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، 1965).
- 115- ميغيل كروز هيرنانديس: (الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية)، في كتاب سلمى الخضراء الجيوسي (تحرير): الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999).
- 116- ناصر الدين الأسد: (مقدمة لدراسة القبائل العربية في الخليج وهجراتها وعلاقتها بالجزيرة العربية)، في كتاب لجنة تدوين تاريخ قطر واتحاد المؤرخين العرب: مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، ج2، (الدوحة: مؤسسة دار العلوم للطباعة والنشر، 1976).
- 117- ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي

البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، محمد عبد الرحمن المرعشلي (تحقيق)، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1998).

118- نبيه القاسم: موقف السيرة النبوية من التوراة واليهود، (عكا: مؤسسة الأسوار، 2003).

119- نجيب العقيقي: المستشرقون، 3ج، (القاهرة: دار المعارف، 1980).

120- نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1987).

121- نقولا زيادة: الرحالون المسلمون والأوروبيون إلى الشرق العربي في العصور الوسطى، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2010).

122- هارون يحيى: الأمم البائدة، ميسون نهلوي (ترجمة)، (أنقرة: المترجم، د.ت.).

123- هاري سانت جون فيليبي: حاج في الجزيرة العربية، (الرياض: مكتبة العبيكان، 2001).

124- هاري سنت جون فيليبي: أيام العرب، (لندن: روبرت هيل المحدودة، 1948).

125- وجدان جميل علي جابر: الردة؛ دراسة تاريخية في مرويات محمد بن إسحاق وسيف بن عمر ومحمد بن عمر الواقدي، رسالة ماجستير غير منشورة، (نابلس: كلية الدراسات العليا بجامعة النجاح الوطنية، 2013).

126- وليم جيفورد بالجريف: وسط الجزيرة العربية وشرقها، جزآن، صبري محمد حسن (ترجمة)، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2001).

- 127- وهب بن منبه: كتاب التيجان في ملوك حمير، عبدالعزيز المقالح (تقديم)، (صنعاء: مركز الدراسات والأبحاث اليمينية، 1979).
- 128- ياقوت الحموي: معجم البلدان، (بيروت: 1979).
- 129- يحيى الجبوري: الزينة في الشعر الجاهلي، (الكويت: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، 1984).
- 130- يحيى الجبوري: الملابس العربية في الشعر الجاهلي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1989).

ثانياً: مقالات في دوريات

- 131- أحمد الحذيري: (من مصادر ابن خلدون ومظاهر فرادته)، مجلة الجسرة الثقافية، العدد 35، (خريف 2014).
- 132- أحمد العناني: (ما بين الطبري وابن خلدون)، مجلة الدوحة، العدد 109، (يناير 1985).
- 133- جمال حسين حماد: (السرد التاريخي في أيام العرب)، مجلة الجسرة الثقافية، العدد 35، (خريف 2014).
- 134- جمال محمود حجر: (الأرمن في رحلة نيبور)، مجلة أريك، العدد الثاني (مايو 2010).
- 135- جوسان وسافينياك: (أعراف قبيلة الفقراء (1))، ترجمة محمود سلام زناتي، مجلة العرب، الجزء 9، 10، السنة 27 (سبتمبر- أكتوبر 1992).
- 136- جوسان وسافينياك: (أعراف قبيلة الفقراء (2))، ترجمة محمود سلام زناتي، مجلة العرب، الجزء 11، 12، السنة 27 (نوفمبر- ديسمبر 1992).

- 137- حمدي حسين علوان التميمي: (الحياة العامة عند العرب في عصر ما قبل الإسلام)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد 4، العدد 14، (ذي الحجة 1433 هـ / تشرين الأول 2012).
- 138- رحمة بنت عواد السناني: (حلي المرأة في الجزيرة العربية القديمة)، مجلة الدارة، السنة 34، العدد الرابع، (شوال 1429 هـ).
- 139- زريف مرزوق المعايطه: (منهج عبيد بن شرية الجرهمي في كتابه الملوك وأخبار الماضين)، مجلة شؤون اجتماعية، المجلد 18، العدد 71، (خريف 2001).
- 140- سلمان هادي آل طعمة: (كربلاء في مدونات الرحالة والأعلام)، مجلة ميزوبوتاميا، العدد 11، (نيسان 2007).
- 141- عدال إبراهيم حسين: بعض سفارات العلماء في عصر الحروب الصليبية من خلال كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر للفترة 490-571 هـ / 1096-1175 م)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 19، العدد 10، (تشرين الأول 2012).
- 142- عرفه عبده علي: (رحالة أوروبيون في الجزيرة العربية بوركهاث ذو اللحية يفتح كنوز الشرق)، مجلة الأهرام العربي، العدد 663، (السبت 5 ديسمبر 2009).
- 143- علي أدهم: (الشخصية الإنسانية لها التأثير الأول في الحركة التاريخية)، مجلة العربي، العدد 130، (سبتمبر 1969).
- 144- فتحي أبو العينين: (التمايز الاجتماعي في العمران البشري.. قراءة سوسولوجية في مقدمة ابن خلدون)، مجلة مركز دراسات الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر، العدد الثاني، (1990).

- 145- كارستن نيبور: (بغداد في رحلة نيبور)، مصطفى جواد (ترجمة)، مجلة سومر، المجلد 20، الجزء الأول والثاني (1964).
- 146- كارستن نيبور: (رحلة نيبور في العراق في القرن الثامن عشر)، محمود حسين الأمين (ترجمة)، مجلة سومر، المجلد 9، الجزء 1 (1953).
- 147- محمد حلمي محمد مصطفى: (نقوش كوفية مبكرة من سيناء)، المجلة العلمية لكلية الآداب جامعة أسيوط، العدد 46، (2020).
- 148- محمد علي الحاج: (صورة من مكانة المرأة في مملكة قتبان في ضوء نقوش مسندية جديدة)، مجلة جامعة حائل للعلوم الإنسانية، العدد الرابع، (يناير 2020).
- 149- محمد علي حشيشو (ترجمة): (ابن خلدون)، مجلة فكر وفن، العدد 15، (1970).
- 150- محمد همام فكري: من رحالة شبه الجزيرة العربية جورج أوجست فالين (الشيخ عبد الولي) 1811-1852، مجلة أفاق الثقافة والتراث، العدد 16 (شوال 1417 هـ / مارس 1997).
- 151- نجاح حسين حمد الهبارنة: (ملاحم العمران البشري عند ابن خلدون)، حولية كلية الآداب جامعة عين شمس، المجلد 45، (أبريل-يونيه 2017).
- 152- نوفل محمد نوري: (الأسطورة والحكاية الشعبية وأثرها في ثقافة الرحالة المسلمين)، مجلة التربية والعلم، المجلد 15، العدد 4، (2008).
- 153- يوسف محمد عبد الله: (صور أدبية من خلال الشواهد الأثرية في جزيرة العرب قبل الإسلام)، مجلة رواق التاريخ والتراث، العدد الثاني، (يونيو 2016).

ثالثاً: باللغات الأجنبية

- 1- Bayard Taylor: Travels in Arabia, (Newyork: charles scribner sons, 1892).
- 2- Charles M. Doughty: Travels in Arabia Deserta, (New York: The Heritage Press, 1953).
- 3- Dav Heinr v. Muller und N. Rhodokanakis: Eduard Glasers reise nach Marib, (Wien: Alfred Holder, 1913).
- 4- Eduard Glaser: skizze Geschichte und Geographie Arabiens, (Berlin: Weidmannsche Buchhandlung, 1890).
- 5- Fr. Kruse: Ulrich Jasper Seetzen's reisen durch Syria philstina phonicien die transjordan-lander Arabia pertraea und unter Aegypten, (Berlin: verlegt bei G. Reimer, 1854).
- 6- Georg August Wallin: Travels in Arabia: 1845 and 1848, (London: Oleander Press, 2013).
- 7- John Punnett peters: Nippur or Explorations and Adventures on the Euphrates, (New york and London: the trickerbocker press, 1897).
- 8- M. Trautz: Aforgotten Explorer of Arabia: G. A. Wallin, Journal of the Royal Central Asian Socuety, Vol XIX, No. II, (January 1932).
- 9- Niebuhr m.: Description de l'arabie, (A paris: Chez brunet libraire rue des ectivains, 1779).
- 10- Philby H. St.: Arabian Days, (London: Robert Hale Limited, 1948).
- 11- Philby, Hary: St. John Bridger: Arabia of the Wahhabis, (London: 1928).
- 12- Philby, St. J. B.: the Heart of Arabia, (London: 1922).
- 13- Philby, St. J. B.: Jauf and North Arabian Desert, the Geographical Journal, IXIII (1923).
- 14- Philby, St. J. B.: Transjordan, Journal of the Central Asian Society, XI (1924).
- 15- Philby, St. J. B.: The Triumph of the Wahhabis, Journal of the Central Asian Society, XIII (1926).
- 16- Philby, St. J. B.: The Trouble in Arabia, Iraq and Nejd Frontier, Contemporary Review, XLI (1928).
- 17- Philby, St. J. B.: Arabia 1926-1929-, Three Years of Wahhabi Rule, Contemporary Review, Cxxxvii (1929).
- 18- Philby, St. J. B.: Arabia Today, International Affairs, XIV (1935).
- 19- Philby, St. J. B.: Arabi Days, an Autobiogrophy, (London: 1948).
- 20- Sammlung Eduard Glaser: Eduard Glasers Reise Nach Marib, (Wien: Alfred Holder, 1913).
- 21- William Gifford Palgrave: Notes of a Journey from Gaza, Through the Interior of Arabia, to El Khatif on the Persian Gulf, and Thence to Omàn, in 1862-63-, The Royal Geographical Society of London, Vol. 8, No. 3, (1863- 1864).
- 22- William Gifford Palgrave: Un annee de voyage l'ARABIA Centrale (1862- 1863), (Paris: Libery de l'hacnette et co., 1866).
- 23- William Gifford Palgrave: Central and Eastern Arabia (1862-3 186-), (London: MacMillan and co., 1866).
- 24- William Gifford Palgrave: Central and Eastern Arabia (1862- 1863), (London: MacMillan and co., 1869).

يدرس هذا الكتاب المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية من كافة جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية. مبيناً كيف كان المجتمع، وكيف أصبح بعد أن أشرقت شمس الإسلام على العرب. ويُبرز دور العرب في الحضارة الإنسانية، كما يردّ على ادّعاء أن العرب قبل الإسلام كانوا أهل بدَاوة وصراعات وحروب، ويؤكد على أن العرب كانوا أهل طور حضاري في مسيرة الحضارة البشرية، وكانت لهم حياتهم الدينية ومعبوداتهم الخاصة. ويتعرّف على جوانب من حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

